

السلسلة
المختصة
بدرى



فهرست

العددان ١ و ٢ كانون الثاني وشباط سنة ١٩٤٤

صفحة	
٣	السنة الجديدة
٧	النهضة الادبية في لبنان الاب جبرائيل ابو سعدى
١٩	الدين مضاد للتقدم ا . ك .
٢٥	تاريخ طائفة الروم الملكيين (تابع) الاب قسطنطين الباشا ب . م
٣٦	القهوة (معارضة عربية لقصيدة فرنسوية) الاب نقولا ابو حنا ب . م
٤١	النور والاثير الاب نقولا الصانع ب . م
٤٥	المشايع اليازجيون (تابع) الاستاذ عيسى اسكندر المعروف
٥٢	الصلاة (موجز عن خطاب للذهبي الفهم) الاب ايزيدور ابو حنا ب . م
٥٥	درس في رسائل القديس اغناطيوس (تابع) الارشمندريت نقولا برخش ب . م
٦١	ديانات العرب قبل الاسلام (تابع) الاب جبرائيل ابو سعدى

بدل الاشتراك لسنة ١٩٤٤

٦٠٠ غ . ل . س .	في لبنان وسوريا
٢٠ شلناً	في مصر وفلسطين والعراق
٧ دولارات	في البلاد الاميركية

ABONNEMENT

Liban & Syrie	120 P. L. S.
Egypte - Palestine - Irak	20 Shil.
Amerique	7 Dol.

السَّالَةُ المُخَلِّصِيَّةُ

العدد الطائفة عشرة

١٩٤٤

المطبعة المخلصية
دير المخلص - صيدا (لبنان)

السَّالَة

مجلة دينية تاريخية ادبية علمية

١٩٤٤

السنة الحادية عشرة

العددان الاول والثاني

كانون الثاني = شباط

يناير = فبراير

السنة الجريدة

وإذا نظرت الى البلاد رأيتها تشقى كما تشقى العبادُ وتسعدُ
حكمة تؤيدها شواهد العقل والحس وتثبتها بينات الخبر والخبر . فالتضاييف
بين البلاد وأهلها لازم حتماً حتى هما في حكم السعادة والشقاء شرع سواء وحالتها
فيه امر طبيعي وواقع لا ينكر . فاذا زهرت البلاد في زراعتها وصناعاتها ومتاجرها ،
عدت سعيدة ودلت على ان اهلها ناعمون في بسطة من العيش ومجبوحة من حياة
السعادة والهناء . واذا اصابها الموات والبوار في كل ذلك ، تامل سكانها في شظف
البلاء على حضيض الضيم والفاقة فكانوا اشقياء لشقاها .

وما يُصب الناس من نكبات بلادهم ، او ما ينلهم من رغدها وحسن حالها ،
يصب البلاد ايضاً من شقاها او ينلها من نعيمهم على السواء لمكانها من التضاييف
كما قدمنا . بل أحرر بالناس في الاعم الاغلب ان يكونوا هم لبلادهم وغيرها نعماً

او بلايا فبأهلها تشقى البلاد وتسعد .

ولا ادل على هذه الحقيقة من الكارثة الكبرى التي عمت ويلاتنا العالمين وطني
 مارج نيرانها منذ اربع سنوات ونصف ، يقلب العواصم الزاهرة والمدن العامرة
 ويكتسح المدنية والعمران حتى لا يكاد يبقى ولا يندر ، واسود المنايا لتلتهم الشبان
 فرائس لها بالالوف والملايين . فالدنيا اليوم ميدان حرب لم تتمخض بمثلها الليالي ولا
 روى عن مثل احوالها الراوون ، بحيث لا يرى الرأى ولا يسمع السامع الا طيارات
 تعج في الهواء ماطرة صواعق البلاء ، واساطيل فوق البحار وفي صميمها اشبه بالهراكين
 الثائرة تقذف حمم القتل والتدمير ، وجيوشاً ترحف لمصادمة جيوش بما اعدته من
 دبابات ومصفحات وبنادق وسيوف وحرا ب .

هذا وقد تقطعت اسباب المواصلات وتعطلت سبل المعاملات وبارت الصنائع
 الا ما أُرصد من معاملها لإحداث الآلات الفاتكة والوسائل الجائحة . وكسدت
 المتاجر او كادت لانقطاع الصادر منها والوارد الا قليلاً لا غناء فيه . وارتفع غلاء
 المرافق الحيوية من مآكل ومشرب وملبس واثاث وماعون الى حد لا يكاد يصدق .
 والناس في ضمن ذلك اما ينتظرون الموت في ميادين الكفاح واما يتجرعون غصص
 اللوعة على شبانهم المتقصفة اغصانهم تحت عاصف الموت ووابل الرصاص وقنابل
 المدافع والطيارات واما يعانون مرائر الفاقة وشدائد الغلاء الا الذين ورمت صناديقهم
 من مال الارباح وقليل ما هم .

على ان بلادنا وان لم يصبها ذلك الطوفان الوبيل ، قد ذاقت شيئاً من رشاشه
 الكريه . واعظم ما ألمَّ بها منه انما هو تيار الغلاء الذي لولا حكمة حكوماتنا في
 ادوارها المختلفة ولولا عناية الحلفاء بنا ، لازهق ارواحنا وغادر مدننا وقرانا قفراً
 يباباً .

ولقد تحطى هول الحرب في الدنيا قاطبة الى العلوم والفنون والآداب فدُميت
 معاهدها منه في الاصقاع الاوربية على الخصوص بما دكَّ بناياتها العظيمة وجعل الكثير

منها قاعاً صفضاً وجرف سيل منايه العديد الاكبر من عمد رجالها واقطاب الاكتشاف والاختراع وافذاذ الصحافيين ونوابغ حملة الاقلام .

واذ كانت اقطار المعمور مرتبطاً بعضها ببعض لم يكن بد من ان الجائحة التي نزلت باوربا واميركا والشرق الاقصى ، يعم خطبها سائر اقطار الدنيا . واذا كانت انوار العقول النابهة منتشرة قبل هذه الحرب في جميع انحاء البلاد بوسائل المعاهد العلمية والمجلات والجرائد والكتب الصادرة عن دور الطباعة زاخرة بكل علم وفن وادب ، كان من اهل خطوب الحرب الحاضرة انكفاء تلك الانوار عن البسيطة وانقطاع مددها العظيم عن كل بلد اذ ضربت الاسداد دون الرقي الادبي والعلمي وتخلفت الطباعة عن ذلك النمو الذي عرف لها ايام السلم لانصراف القوم الى ما يعينهم اليوم من دفع العدو والتحرز من غاراته واشتغال كل فريق محارب بامر بلاده لاكتساب النصر على العدو الطامح .

وها نحن في لبنان وسوريا وفلسطين ومصر مع اننا في نجوة من روع التقاتل نلمس باليد ما يعثورنا من حاجة شديدة الى ما يغذي العقل والقلب من مدد العلم والمعارف والصنائع والفنون الذي كنا نتذوقه ونلتذ باطاييه قبل بلية الحرب الحاضرة . وزى بام العين تخلف الطباعة والصحافة في بلادنا قاطبة حتى لا يكاد كاتب يطبع كتاباً ولا شاعر ديواناً ، وحتى وصلت مجلاتنا وجرائدنا الى درك ما كان احد ليرضى وصولها اليه لولا ازمة الحرب الخائقة وفحش ما بلغت اليه اثمان الورق مبالغاً لم يعقله تصور احد في غابر الزمان .

وهذه مجلتنا « الرسالة المخلصية » تطوي في خدمة الدين والعلم والادب عشر سنوات قضت منها اربعاً ونصفاً تماشي رصيفاتها المجلات الوطنية ولو نجحى ضيقة في هذه الازمة الشديدة ، مجتهدة وسعها كتلك الرصيفات في بسطها لجمهور قرائتها الكرام يسيراً مما يلزمهم من الابحاث الدينية والعلمية والادبية ومما يرقه عنهم بعض ما يعانونه

من آلام هذه الايام ومساوىء احوالها .

وتبدأ مجلتنا سنتها الحادية عشرة منذ شهر كانون الثاني (يناير) الحاضر سنة ١٩٤٤ . وقد كان من حسن الرأي عندنا ان تضي هذه الرسالة على سنتها مع ما يعترضها من العقبات والمصاعب وان تزداد تحسناً في مباحثها ورونتها الطباعي من كل وجهه قياماً بواجب الصحافة وواجب الدين والعلم والوطن مهما كلف ذلك من النفقات . فان لم تبلغ غاية الكمال فلا اقل من ان تسير الى تلك الغاية باذلة قصارى ما تستطيعه من الجهد ، ومن بذل جهده فقد بذل كثيراً .

وكما ان النور يتوقع انبثاقه من حاشية الظلام ، وكما ان الحبة تبرز خصية الحياة من خلال التربة التي دفنت فيها ، هكذا نرجو من الله رب السلام أن يشق ديجور هذه الحرب عن شمس السلام وان يوقظ الحياة خصية لعالمه فيديلهم من ذلك الويل المطبق ومن المبات الوبيل طمأنينة في ظلال رضوانه وحياة سعيدة في عمل القويم لديه . وليكن هذا العام الذي استلمنا فيه غرة ملاك النصر مقبلاً قبل الحلفاء انصار الانسانية والعدل ، عام بركات وتوفيق للبلاد قاطبة وبلادنا بنوع خاص ولقراء مجلتنا الاعزاء حتى يعود السعد شاملاً ويرجع العدل الى نصابه وترتع الامم في مجبوحة السلام والامان والخير وتعتر دولة العلم والقلم ويتبع الادب سمته القويم بفضل الله واحسانه .



النهضة الادبية في لبنان

محاضرة القاها في نادي الاتحاد الارثوذكسي في القدس في ١٥ ك ١ سنة ١٩٤٣

حضرة الاب جبرائيل ابي سعدي الجزيل الاحترام

سيداتي ، سادتي ،

اقترح علي مديرو هذا النادي الزاهر ان اكلتكم في هذا المساء عن الادب في لبنان . فبعد ان احبي جميع الحاضرين تحية احترام ، وبعد ان احبي بنوع خاص من اولوني حسن ظنهم لهذه الدعوة الخطيرة اقول : ان الموضوع واسع الاطراف ، تمتد الجوانب لا يسعني الاحاطة به في ساعة او ساعتين من الزمان ، لان لبنان على صغر مساحته وضيق اطرافه ، عظيم بما نبت في ارضه من اجداد في العصور السالفة ، وعظيم بما يزين الآن ارضه من مفاخر تمثلها لنا هذه الطغمة الوافرة من الشعراء والكتاب الذين تعترفهم العربية قاطبة . وهذا ارزه الخالد لا يزال واقفاً على العصور والاجيال شاهداً عدلاً يجبر الخلف بما غرسه السلف تحت ظلاله . مرت به الدول فاذا بالدول تذهب وتبيد والارز العالي بشم الرى ، يهزأ بالاجيال ويهزأ في الفضاء افانين الخلود ؛ مرت به شعوب واستعبدته حيناً فاذا به يستعبدها بمقريته وينفجها ذكاه مرقوماً في حروف ابتكرها . ارغت الحدائن لبنان على الاعتزال والتستر في قنن جباله متمسكاً بنبرياته مدة قرون . ولما غزته العربية في القرن السابع امتنع عليها في بدء الامر ، ولكن العربية وجدت فيه خير ملجأ عندما سامها الهوان عداتها وهربت من جورهم الخائق ، فاذا ذلك خرج لبنان من عزلاته وانضم تحت لواء المعنيين والشهابيين متمتعاً بالراحة والاطمئنان . فاكب بنوه على العاوم يقتبسونها ويجدون من حميتهم دافعاً يذهب بهم الى الاقطار القريبة والبعيدة لكي يبتثروا مبادئها ، فلذا نرى لبنان حمل مشعل النهضة على رغم الزمان المعادي . اجل لقد تألبت عليه القرى المناوئة ، وقد حاولت كبت عقبريته سلطات

جائرة ، ولكنه برشاقة النسيم الذي يتلاعب بافنان ارزه ، افلت من العدو وراح في الاقطار يجبر العالم ما مقدرة اللبناني وما مواهبه :

« ركبوا البحر ، جاوزوا القطب فأثوا موضع النيرين ، خاضوا الظلاما »
 « يمتطون الخطوب في طلب العيش ويبرون للنضال السهاما »^(١)
 فترلوا مصر ، واذا بالكثانة تفتح لهم ابوابها رحبة مضيافة ، فاصابوا في ارضها منزلا مخصباً واهلاً كراماً . فاقبست مصر من نورهم فشت نحو الرقي الادبي بهديهم الى ان توصلت الى الزعامة . غير ان مصر لم تكف مطامعهم ، فرموا الابصار الى القارات النائية فاتخذوا من البحر سبيلاً مائماً (ἵπρον καὶ ἐλευθερος) كما يقول هوميروس ، كما فعل اجدادهم الفينيقيون من قبل ، فاذا بهم هناك يثرون ويتأدبون ، يطلعون على حضارات وآداب الامم الراقية ، فيقتبسون منها ما يؤهلهم لان يصبحوا لاهلهم هداة ، ولاوطنهم قادة ، وللنهضة الادبية دعامة^(٢) .

فهذه النهضة هي التي اود ان ارسم لكم صورتها باوجز ما يمكن . فهي اشارات خاطفة اريد ان القيتها ، ومعالم اتوخى ان اوضحها ، دون ان اتعمق واتوسع . فاعرض عليكم في هذا المساء :

١- سير النهضة في اهم تواريخها واطوارها . ٢- عوامل النهضة التي ساعدت الذين قاموا بها على النجاح . ٣- الميزات الخاصة التي كونت الادب او التزعات التي ميزت الادباء وقسمتهم .

(١) حافظ ابرهيم - (٢) حافظ ابرهيم ، في قصيدته : « بنت مصر وبنت الشام » وحافظ

ابرهيم ابيات خالديات في وصف عزيمة اللبناني وتوقه الى العمل . قال في « الامتان تصافحان » :

نسيم لبنان كم جادتلك عاطرة	من الرياض وكم حياك منسكب
في الشرق والغرب انفاس مسعرة	تحفو اليك واكباد بها لهب
لولا طلاب العلي لم يبتنوا بدلاً	من طيب رياك لكن العلي تعب
يفضي ولا حيلة الا مزيمته	وينثني وحلاه المجد والذهب
اسطولهم أمل في البحر مرتحل	وجيشهم عمل في البر منقرب
ماعايبهم انهم في الارض قد نثروا	فالشهب منشورة مذ كانت الشهب
سعوا الى الكسب محمودا وما فتئت	ام اللغات بذاك السعي تكتسب

اولاً . — سير النهضة في اهم نواحيها واطوارها

ايها السادة ،

اجمع مؤرخو الاداب العربية ان يؤرخوا بدء النهضة الحديثة بحملة نابوليون بونابرت على الشرق واحتلاله لمصر . مما لا شك فيه ان هذه الحملة لها اثرها الطيب في انعاش الاداب في كل الاقطار العربية وخصوصاً في مصر وسوريا . بيد ان لبنان كان بادئاً بنهضته قبل ذلك العهد بازمان ، وما ائت البعثة النابوليونية الا وقوداً يزيد في حرارة النار المشتعلة من قبل . فكان في لبنان شعراء ، وكان فيه كتاب قبل ان يأتي نابوليون ، وكان في لبنان مطابع قبل ان يجلب نابوليون اول مطبعة عربية لارض الكنانة ، كما سيتبين لكم ذلك . فالبعثة في لبنان اذن كانت اقدم من البعثة في مصر وغيرها من الاقطار . فما هو تاريخها والحالة هذه ؟ قد لاحظ الاب لامنس المؤرخ المدقق ، « ان الحملة الصليبية اخفقت اخفاقاً رائعاً ، وان الفرنجة غادروا الشرق برجالهم وسلاحهم ، غير انهم لم يغادروه بقلوبهم ونفوسهم لان الشرق موطن السحر ، والشرق منبع الشعر ، فتك فيهم من التأثير والذكريات ما لم يجدوا عنه بديلاً في بلاد الغرب . ففي الشرق تبرز الشمس بسحري الوانها ، وفي الغرب تتوارى كثيفة حائرة كأنها الدمعة تنقطر من الاجفان القرميحة . . . فلذا حنوا الى الشرق وشمسه ، فعادوا اليه الكرة بل الكرات ، يحملون الى موائنه سلعهم واقستهم يعرضونها في الاسواق ، ويقتنصون منها اسباباً تسمح لهم بالاقامة في اراضيها ، وهم كانوا يحملون من اقطارنا التوابل والحراير وسائر المشرقيات التي يجلبونها . وهكذا امتدت الاسباب وكثر الاختلاط حتى ان بعضاً منهم اتحدوا بالمصاهرة والمزوجة . فسكنوا في الشرق مختلطين باهله . فهذا الاختلاط الدائم المتواصل سيكون اولي الاشعاعات تبشر ببزوغ فجر النهضة البهيج^(٢) . » اذ ما من نهضة تقوم ما لم يكن لها باعث من قوى اجنبية تساعدها على الانبثاق والظهور ، لان الضعيف يحتاج الى قوة تسنده . وآدابنا كانت حينذاك هاوية الى وهدة لا قرار لها . فلا حاجة لي ان اكلهكم عن عصر الانحطاط وعصر الظلام والظلمات .

فكما انتعشت الآداب الاوربية إبان عصر الانبعاث باستنادها على الآداب اليونانية واللاتينية هكذا انتعشت آدابنا باستنادها على الآداب الاجنبية ، فجلبت هذه الحركات التجارية الفرنجة الى لبنان ، فازدادت بيروت في القرن السادس عشر ، فسكنها الفرنسيون واهل جينوى ، وتوطنوا هناك ، مما حمل السلطات على ان ترسل الى لبنان قناصل لتحمي تابعيهم وتسهل لهم طريق الحج الى الارض المقدسة ، ومازال نسمع في لبنان اسماء بعض هذه الاسر الغربية القديمة تطلق على حفدهم الحاليين . فهناك اسرة دريان ، وهناك فرنجية ، وهناك طرييه ، وهناك قُرم وجنبرت^(٤)

ومع كل هذا فان النهضة لم تتوضح معالمها الا على زمان فخر الدين المعني الذي تولى اماره لبنان من ١٥٧٢ الى ١٦٣٥ . فانه بذل الجهود الجيارة لرفع مستوى بلاده ، فأتم اوربا واتصل بامراء توسكانة^(٥) حيث اطلع بنفسه على تقدم الغرب والوسائل التي يستخدمونها لنيل الرفاهية والعمران ، ليستفيد منها في اصلاح شؤون بلاده . وقد عقد معهم المحادثات التجارية والودية لكي يزودوه بالعلماء الكافين ان يقوموا بالمشاريع التي ينوي اقامها بعد عودته . ففتح لبنان للتجارة الاوربية الى ابعد مدى ، وشيد للاجانب الذين اتوا لبنان القصور والبيوت ليسكنوا مطمئنين على ان يبقوا في البلاد وينفعوها ، وبذل من امواله الخاصة لمساعدة المرسلين الاوربيين الذين قدموا البلاد لبت عقائد الدين بين الاهلين ، فبنى لهم الاديار ودر عليهم الارزاق ، وابدى لهم لطفاً عظيماً حتى ان الاحبار العظام لقبوه بجامي النصرانية في الشرق . فامتدت سلطته من حلب الى القدس^(٦) . وعلى عهده دخلت الطباعة لأول مرة في الشرق ، فان تلاميذ دير قزحيا

(٤) راجع : « المستشرقون » لنجيب العقيقي ص ٥٥ - ٥٦ .

(٥) راجع المشرق : تشرين الاول - كانون الاول ١٩٣٧ ، ص ٥٢٦ ونيسان -

حزيران ١٩٣٧ ، ص ٢٥٦

(٦) تاريخ سوريا ليوسف الدبس ، المجلد السابع ، ص ١٧٩ ومن مآثره مساعدته

للآباء الفرنسيين على بناء ديرهم في الناصرة ، Lammens, la Syrie, II, p. 78.

راجع كلمة عنه في « تاريخ طائفة الروم الملكية » بقلم الحوري قسطنطين الباشا المعاصي

الذين كانوا يتلقون العلوم في رومية ، جلبوا معهم ابا ن عودتهم مواد وآلات مطبعة ركزوها في ديرهم ، وكانت تطبع بالحروف الكرشونية وذلك سنة ١٦١٠ ، واعتمد عليهم فخر الدين ليكونوا صلة بينه وبين امرآء المغرب .

وعلى زمانه نشط المرسلون الاوربيون نشاطاً عظيماً ، ونالوا نجاحاً باهراً خصوصاً في حلب التي اصبحت بفضلهم منبت النهضة واول معين لها في ذلك العصر ، والعصر الذي سليله . فعاش فخر الدين للبنان وضحي بكل شيء في سبيله ، وهو اول من افتكر بانشاء « لبنان الكبير » ، فلذا هو في عيون اللبنانيين رمز الوطنية الحقة .

وبعد هذه الفترة من التاريخ انجبت حلب شعراء ، وكتاباً ، لا نذكر منهم الا ثلاثة لانهم امرآء في النهضة وهم المطران جرمانوس فرحات ، والحوري نقولا الصائغ ، والشماس عبدالله زاخر .

كلكم تعلمون ايها السادة ان الادب العربي في معظمه وباحسن ما فيه هو اسلامي محض ، ولم يذكر التاريخ ممن نبغوا من النصارى الا الاخطل ، شاعر بني امية . وكان النصارى صادقين عن الادب لدواعر ثقافية واجتماعية ودينية لا يتسع المقام لتفصيلها هنا . فاصبح الادب محتكراً على المسالمين دون سواهم ، فاشتهر عن النصارى ضعفهم في اللغة حتى رسخ الاعتقاد في عقول بعضهم ان النصرانية والبيان العربي لا يجتمعان ، وانفوا ان تنتصر العربية . وبقي الامر هكذا الى اوائل العصر الذي نحن بصدده . فلما اتى فرحات والصائغ والزاهر ، تلقنوا مبادئ العربية على الشيخ سليمان النحوي الحلبي مقابل اجر معلوم . ولما بلغوا منها شأواً بعيداً جدوا في تلقينها اولاد ملتهم ، فعمدوا الى وضع الكتب لهذا الغرض ، فكان جرمانوس فرحات (الذي عاش من ١٦٧٠ الى ١٧٣٢) اول من الف في النحو والصرف في النصرانية ، ولا يزال كتابه « بحث المطالب » من الكتب المتداولة بين ايدي طلبة النصارى في بعض جهات لبنان ، وهو محبوب ومقيم بتقاسيم حديثة تحالف هذه الفوضى التي تملأ الكتب القديمة . وهو اول من وضع قاموساً عربياً اختصر فيه قاموس الفيروزبادي ليكون مرجعاً للطلاب ، ومما « الإعراب في لغة الأعراب » ، زاد عليه طابعه الكونت رشيد الدحداح الفاظاً وفوائد جمّة تجلو الغامض وتفسر المبهم . وقد طبعه في مرسيليا سنة ١٨٤٩ وعدد صفحاته ٧٥٠ من الحجم

الكبير . وله ايضاً « بلوغ الارب » في الادب ، وله غير ذلك من المؤلفات تشيد بفضلها ، وله ديوان شعر مشهور . ولتقولا الصائغ ديوان لا تزال تتداوله الايدي المسيحية ، لانه في مديح السيد المسيح وامه العذراء ، غير ان اعظم كتبه التهمتها النيران في غضون حوادث سنة الستين . توفي تقولا الصائغ سنة ١٧٥٦ .

وعبدالله زاخر يجب ان يذكر لانه كان اول من سبك الحروف العربية للطباعة العربية في الشرق ، ولا تزال بقايا مطبعته محفوظة في دير القديس يوحنا الصابغ (الشوير) ذخراً يشيد بفضلها وبمهارته . توفي عبدالله زاخر سنة ١٧٤٨ .

كل هذا لا يعني ان البلاد كانت في اوج الرقي كما هي عليه الآن . انما هورقي نسبي بحسب الظروف والاحوال التي كانت شائعة في ذلك الحين . ولذا لا نعجب مما نقرأه عند الزائر فولني (Volney) « ان الجهل سائد في سوريا ، كما في مصر وتركيا ، ولم تنتشر عندهم الكليات والمعاهد العلمية كما نفهمها نحن . انقضى عهد الخلفاء وليس من العرب او الترك الان علماء في الرياضيات او الفلك او الموسيقى او الطب ، ويندر فيهم من يحسن الفصاحة ، واذا احتاجوا الى الكمي استخدموا له النار . واما علم النجوم فصار عندهم للنجامة واستطلاع الطوالع » . تلك كانت الحال الا بعض الافراد وخصوصاً ممن يقطنون المساجد والكنائس والاديار ، وان كان هؤلاء ايضاً على جانب عظيم من الجهل

ولكن ما ذرَّ القرن الثامن عشر حتى اخذت الاحوال تتطور ، واخذ الرقي تلوح تباشيره . فلما تولى الجبل الشهابيون ازدادت اللغة العربية قوة ومناعة ، وبما ساعد على ذيوعتها تنصر بعض الامراء . من الشهابيين والامعيين ، فاخذ ظل السريانية يتقلص شيئاً فشيئاً لتحل العربية محلها . ثم ان لبنان في ذلك العهد اصبح ملجأ يأوي اليه القبائل من الاعنات العثماني ، فلاذوا بالجبل لانهم وجدوه بنجوى عن فتكاتهم فلا يجروون على توغل هضابه خوفاً من الاعتداء والقتل . ومن يجب ان نذكر اسمه مشفوعاً بكل تحية واجلال من هذا القبيل ، هو الامير بشير الثاني الكبير الذي تولى امارة الجبل من سنة ١٧٨٩ الى ١٨٤٠ وتوفي في الاستانة سنة ١٨٥٠ . فايادي الامير على النهضة حمة غزيرة ، حاول نشر التعليم في بني امارته مرسلأ منهم بعضاً الى مدارس مصر التي كان انشأها

صديقه الخديوي محمد علي ، وفتح بلاده للاروبيين على غرار سلفه فخر الدين ، فتقاطرت على زمانه الارساليات الاجنبية الدينية ، التي كانت تمدها بالاموال والرجال والوسائل اللازمة الدول الاوربية ، كل بحسب عقائدها واهدافها .

ففرنسا كانت تبذل الاموال لمساعدة الارساليات الكاثوليكية بدون ما تميز بين جنسيات المرسلين ، لان الاغلبية الساحقة كانوا من اولادها ، وانكلترا واميركا كانتا تصرفان الاموال جزافاً لمساعدة الارساليات البروتستانتية ، التي انبثت في مختلف الجهات الشرقية . ولن نعفل عن ذكر المانيا وبعض ارساليات قامت بنفقاتها . وروسيا بذلت الجهود لدى الباب العالي لكي توطن اقدامها في الشرق وفي الممالك العثمانية خاصة لحماية الروم الارثوذكس ولكي تتمكن بهذه الوساطة من مزاحمة فرنسا في نفوذها في الشرق . ومن الوجهة التي تعيننا نعترف بان هذه المنافسة قد نعت الآداب منفعة جلي ، لان كلاً من هذه الدول اجتهد ان يثبت ثقافته وآدابه بين بني الشرق ، لابل انها كانت ترسل الى عواصمها افراداً ممن شاموا فيهم الذكاء والمقدرة ، لكي يكملوا هنالك علومهم العالية ثم يعودوا الى الشرق ليكونوا لهم اعواناً ولديانتهم مبشرين . ومن هنا نفهم اختلاف الصبغات التي سيتلون بها الادب ، لاختلاف هذه النزعات التي سادت على تكوينه كما سنشير اليه فيما بعد . اذ لكل ادب وامة عبقرية خاصة وروح خاصة واساليب خاصة ، تفرده عن غيره وتميزه عن كل ادب سواه ^(٧) .

وان الامير بشيراً احتاط بالشعراء والادباء على غرار امرء العرب القدماء والخلفاء من قبلهم ، فجعل من بيت الدين حلياً اخرى تزدحم فيها الشعراء كما فعل سيف الدولة قبله بقرون . فهناك نلمح نقولا الترك وبطرس كرامة والشيخ ناصيف اليازجي ، وهذه المع الاسماء التي حفظها التاريخ وان كان ثمت غيرهم .

(٧) قد تجد معلومات طريفة عن كل هذا في بعض مقالات نشرتها مجلات ذلك المصرفي اوربا ، وفي بعض كتب نشرتها الدعاية . نذكر منها :

P. Pisana : Les Allemands en Palestine, 1898. — Les Russes en Syrie, 1890. — Les Anglais en Egypte.

Comte Courret : La France en Terre Sainte, 1897.

Alphonse d'Alonzo : La Russie en Palestine, 1901. — Notre Langue dans le Bassin de la Méditerranée, 1923.

اما نقولا الترك فهو شاعر الامير الخاص له فيه قصائد كثيرة وله فضلاً عن ديوانه مؤلفات تاريخية اخرى مثل تاريخ نابليون ، الذي طبع نصفه السيد دي كرانج في باريس سنة ١٨٣٩ ، وله تاريخ احمد باشا الجزائر . وابي نقولا الترك الا ان يكون له مقامات كما كان للبحري من قبله ، ولكنه لم يبلغ شأوه ، فشعره ليس من الطبقة العليا وان كان لا يخلو من فلتات غاية في الروعة والاحكام . فعلى سبيل الفكاهة ولتسليتكم قليلاً من هذا العناء الناجم عن سرد هذه الحوادث ، اتلو عليكم بضعة ابيات ارسلها الى الامير بشير لكي يشكو اليه فقره وعتق شرواله وعمامته :

وشروال شكى عتقاً وأمسى	يراوطني العتاق فما عتقتُ
وكم قد قال لي بالله قلني	وهبني كنت عبداً فانطلقتُ
أما تغري بأن قد صرت هرماً	وزاد علي ابي قد فتقتُ
فدعني حيث قل النفع مني	وعاد من المحال اذا رتقتُ . . .
ولا تعباً بتقليبي لاني	بعمر ابيك نوح قد لحقتُ
ولم يبرح يجدد كل يوم	علي النعي حتى قد اعتلقتُ .
فأشعرت العامة في مقالي	له فاستحسن ما قد نطقتُ
فراحت وهي تشدو فوق رأسي	لي البشرى اذن وانا عتقتُ

فترون ان الوصف لا يخلو من ظرف يذكركنا بابي نواس ، وان كان النفس الغوي لا يعلو الى نفس شاعر الرشيد . ولم يقل بطرس كرامة عن زميله ورفيقه في صحبة الامير ، فيظهر ان شعر بطرس امن وأضبط من شعر نقولا وأن صيته قد طار اكثر من صيت صاحبه . ولعل للقصيدة التالية ، الاثر الاكبر في ذلك ، فهي قصيدة تمد نحو سبعة وعشرين بيتاً قد التزم فيها قافية لفظة « الخال » بمعانيها المختلفة ، ومطامها :

أمن خدها الوردي أفتنك الخال^(٨) فسح من الاجفان مدمعك الخال^(٩)
وأومض برق من محيا جمالها لعينيك ام من ثغرها اومض الخال^(١٠)

فاجب بها اهل زمانه وان كثيرين منهم عارضوها ، وكثيرين شطروها وآخرين خمسوها .

ولم نسمع بين ائتلاف اصوات المادحين الا صوتاً واحداً شاذاً ، وهو صوت الشيخ التميمي وكانوا طلبوا اليه ان يرد عليها فاقرب بعجزه بلهجة منكرة قائلاً في مطلع قصيدة اراد بها مدح داود باشا :

عهدناك تعفو عن مسيء تعذرا الافاعنا من رد شعر تنصرا

فاستاء من ذلك الادباء حينذاك وانحوا باللائمة على التميمي واغدقوا الثناء على بطرس ومهارته .

اما الشيخ ناصيف اليازجي فستكلم عنه عند درسنا ميزات العصر الادبي ومدارسه . وهكذا بدت تباشير النهضة تلوح في لبنان خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، واخذت شمس الآداب تبرز من بعد ظلمات الانحطاط الخالكة . وما اتى القرن التاسع عشر حتى رأينا الشمس في راد ضحاها ترفل نحو العلى ناشرة في الشرق حياة وانتعاشاً . قدم نابليون من الغرب يبشها فيه ، لان الحملة النابليونية كانت بمثابة ندوة علم متنقلة قدمت مصر لتنفض عن موطن الفراعنة غبار العصور المظلمة ، لتنعشها ادبياً وعلمياً حتى تجعل منها بلداً راقياً يتمم فرنسا في الشرق .

ليس من اربي ان ابين المنافع اللمة التي جنتها . صر من هذه البعثة فهذا الحديث منوط بغيري . وفيما يختص بموضوعي اكتفي بالاشارة الى ان نابليون فشل في سوريا من الوجهة العسكرية ، ولكن ادباء فرنسا وعلماؤها تولوا فتحها سلمياً وثقافياً ، فازداد الاحتكاك بين الشرق وفرنسا ، وتقاطر الى سوريا شعراء وادباء تنسموا ريح الشرق وحاولوا ان يبشوه في نفثات افلامهم^(١١) . ثم نشطت الحركات الارسالية نشاطاً اعظم وكان لهم الفضل الكبير لتحويل الشرقيين الى منابع الثقافة الفرنسية خصوصاً والمنابع الثقافية الاوربية عموماً ، وكان اللبنانيون والسوريون المسيحيون اشد ميلاً الى تلقف هذه الثقافات ، بسبب تماثل العقائد ونشابه الايمان . وقد فهم ذلك ابراهيم باشا عندما غزا سوريا وافتتحها فبذل جهوداً واسعة لكي يكسب عواطف المسيحيين تمهيداً لضم بلادهم تحت لوائه ، ولانه عارف ان فرنسا كانت راضية عن عمله وهي وراهه تمده بالامدادات ، ولكن

(١١) ان ادباء فرنسا المشهورين استوحوا الشرق واستلهموا منه اشعاراً وقصصاً ، فلا نذكر الا لامرتين وهو جو مثلاً على ذلك .

السياسة قلبت ابراهيم باشا ، وانتزعت من يديه ما كانت كسبته مهارته وشجاعته ، وردته على اعقابها مخذولا

ففي وسعنا ، ان نقسم هذا الطور الجديد من عصر النهضة الى ثلاثة ادوار ، ليسهل علينا حفظها وفههما :

(١) فالدور الاول يبتدي . من دخول ابراهيم باشا ارض الشام (سنة ١٨٣٢) الى سنة الستين . فرأينا ان قد بذل ابراهيم جهده ليجمع بين مختلف الطوائف ، ويستميل المسيحيين ، مراسلاً بعضاً من اولادهم الى مدارس مصر التي كان قد افتتحها ابوه ، حتى يعودوا الى بلادهم ويكونوا له اعواناً لبث روح الاستعمار الذي يريد . و ابراهيم باشا ، بمساعدته المسيحيين ، ترك المبشرين الجوطليقاً ليحققوا مأربهم من نشر الدين والتعليم فنشط اذ ذاك الاباء الكبوشيون والاباء اليسوعيون والعازيون ، كما نشط المرسلون الاميركان . وهب نسيم قوي للرساليات الروسية في جهات كثيرة من القطر الشامي عموماً بما فيه فلسطين . ففي سنة ١٨٣٤ انشأ العازريون مدرسة عينطورا ، وسنة ١٨٣٥ انشأ القس وليم طومسون الاميركاني مدرسة في بيروت . وسنة ١٨٤٨ انشأ الدكتور فانديك مدرسة عالية في عبية ، وفي هذه السنة انشأ الاباء اليسوعيون مدرستهم في غزير والمنافسة بين هؤلاء الاجانب عادت بالنفع على نشر العلم والثقافة في لبنان ، كما سبق لنا القول .

(٢) والدور الثاني يبدأ بمجوات سنة الستين المشؤومة وما عقبها من تدخل فرنسا عسكرياً لوضع حد للجازر الهائلة التي خضبت ارض لبنان بالدماء النقية ، فاذاك مرت في اوربا موجة رحمة وشفقة هطلت على لبنان بكل انواع المساعدات لهؤلاء المنكوبين فتقاطر المحسنون وعلى رأسهم شارل لافييجري مؤسس الاباء البيض ومدرسة الصلاحية يمحلمون مع مظاهر احسانهم ، من حوائج ودرهم ، كنوز الحنان والرافة ، ففتحوا المدارس لا يواء الايتام واطعام المساكين محاولين ان يكونوا لاولاد لبنان اليتامى الاب والام والعائل والمربي . فكثرت الملاجي . الكاثوليكية والارثوذكسية والبروتستانية . وهذه المدارس تناوت منافعها الصبيان والبنات مما احدث نهضة تعليمية عظيمة في البلاد . والمدارس التي انشئت في هذه الحقبة كانت على نوعين منها الوطنية ومنها

فمن الوطنية نذكر المدرسة الوطنية التي انشأها المعلم بطرس البستاني سنة ١٨٦٢ ، وازدهرت ازدهاراً بليغاً في ذلك العهد لانها ضمت بين جدرانها اشهر ادياء العصر مثل سعيد شقير ، وسعد الله البستاني ، وشاهين سر كيس ، والشيخ خطار الدحداح ، وسليم البستاني ، والشيخ يوسف الاسير ، وعبدالله البستاني ، فضلاً عن المعلم بطرس . وكلهم لهم آثار تقرر بفضلهم في عالم الادب .

ثم انشئت المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك سنة ١٨٦٥ ، وتمتعت بقسط وافر من الشهرة ، وانجبت عدداً وافراً من الادياء والشعراء والحكام والمحامين ، على ما ذكره الفيكونت فيليب دي طرازي ، في الفذلحة التي نشرها عنها ^(١) . ومن هؤلاء الافذاذ الذين يتمتعون اليها احبي عابراً مواطنين لنا كريمين الاستاذ الكبير النشاشيبي ، وحاكم صلحنا الاستاذ الشاعر اسكندر الخوري البيت جالي . وبعد سنة عقبته مدرسة الثلاثة الاقمار للروم الارثوذكس وقد ضربت بسهم وافر من الرقي والفلاح . وفي سنة ١٨٧٤ انشئت المدرسة الوطنية الاسرائيلية ، انشأها الخاخام زاكي كوهين ، وبعدها بسنتين انشأ المطران الدبس مدرسة الحكمة التي لا تزال زاهرة عامرة .

ولم يتخلف المسلمون عن اخوانهم المسيحيين فانشأوا المدارس والكليات العالية فخص بان نذكر منها المدرسة الرشيدية وهي اقدم مدارسهم ، ومدرسة دار المعلمين وكتلتاهما للحكومة . . .

واهتم الاجانب بانشاء المدارس والمؤسسات العلمية ، لا بل بزوا الوطنيين في هذا المضمار لما لديهم من رؤوس الاموال ، التي تبذلها لهم حكومات قوية غنية . ليس في مقدوري ان اتتبع كل المدارس التي انشأوها ، ان في المدن وان في القرى ، وحيث ان اذكر منها مدرستين عظيمتين لا تزالان منبثقتي العلم والنور في لبنان والشرق اعني بها الجامعة الاميركية والجامعة اليسوعية ، فكلتاهما ، وان اختلفتا عقائد وآراء ، وان تغايرتا اسلوباً ومنهجاً ، أثرتا في اذكاء هذه النهضة الطيبة التي نتمتع بشهي آثارها . فاصبحت بيروت من جراء ذلك منبع الفكر ومصدر العلم ، فهجر كثيرون من

(٩) راجع مجلة « الرسالة المخلصية » : سنة ١٩٣٩ ص ٢٠٢ و ٢٦٢ .

اللبنانيين جبالهم وقراهم واموها ليسكنوها ويتلقوا فيها العلوم من مناهلها ، فنجبت طائفة من الادباء والشعراء ، جعلوا منها مدينة الصحافة ، وملتقى المطابع ، وقصارى القول جعلوها عقل لبنان المفكر ودماعه . ولقد يطول بي ان اسرد على مسامعكم اسماء البعض منهم ، وكلكم قد سميت البساتنة ، واليازيين ، مردفين اسماءهم باسماء اديب اسحاق ، ومارون النقاش ، وخليل الخوري . . . وان كثيرين من هؤلاء الادباء ممن ضاقت بهم بلادهم بسبب الرقابة العثمانية الصارمة ، هجروا لبنان وقصدوا وادي النيل حيث لاقوا منزلاً رحباً ، كما قال حافظ ابرهيم ، فاستقلوا مواهبهم وهي كثيرة ليدكوا نيران النهضة في هذا البلد الشقيق .

٣) الدور الثالث يبدأ من الحوادث العربية سنة ١٨٨٢ في مصر الى اوائل الحرب الكبرى . فان هذه الحوادث اسفرت في مصر عن احتلال الانكليز لارض الكنانة وعن هجرة عدد وافر من الادباء اللبنانيين الساكنين فيها الى اميركا حيث قاموا بنفس العمل الذي كانوا منهمكين فيه في مصر ، واذ ذاك تأخذ اسماء اعضاء الرابطة القلمية في نيويورك ، واسماء اعضاء الجالية اللبنانية في البرازيل وغيرها من تلك الاقطار الشاسعة تتردد على السنة القراء والمتعلمين . . .

ولكن الانكليز ردوا لمصر السلام والطمأنينة ، ودأبوا على تنشيط آدابها فاذ ذاك عاود سيل الهجرة اللبنانية مجراه ، هرباً من الجور العثماني ، وعاد نفهم لمصر ولثقافتها على مثل ما كان عليه اخوانهم ، فهم الذين درجوا بمصر شيئاً فشيئاً بمساعدة الحكومة المصرية وبعض بنيتها الى ان تقلدت الزعامة الادبية التي لا تزال مفتخرة بها . ولست بمتكلم عن الحوادث اللاحقة ، فهي كثيرة متنوعة ، صبغت الادب بصبغات خاصة ، واهمها الحوادث السياسية التي قلبت وجه الشرق مستأصلة منه عقلية قديمة بالية ما عتت ان امحت تماماً مع محاء عهد بني عمان في اقطارنا وخلقت فينا عقليات اخرى استمددناها من حضارات زاهرة غزت بلادنا واحتلت عندنا بثابة المدرب والمثقف .

لست بمتكلم عن اعلان الدستور وعن الثورات العربية التي اندلعت نيرانها في اقطار شتى طلباً للحرية والاستقلال ، فقد أَلَفَ عليها الاديب انيس المقدسي كتاباً برمته ولا اظنكم تطلبون مني ان أوتي الكلام عنها في ساعة او ساعتين . (يتبع)

الدين مضاد للتقدم

كذب القائل ! اذا اراد بادعائه هذا ان الدين مضاد لمطالب ورغبات العصر الصوابية .

فالدين لم يكن قط مضاداً للتقدم في العصور الماضية ،
واليوم ايضاً ليس الدين مضاداً للتقدم .

١

لم يكن الدين قط مضاداً للتقدم في العصور الماضية . - يتهم الكفرة الدين بانـه عاكس التقدم في العصور الماضية ، ولا سيما في القرون المتوسطة . ولكن لا تهمة اكثر مخالفة للحق والصواب من هذه .

فاولاً ، هل كان يمكن الكنيسة وهي تسعى في رقي شعوب القرون المتوسطة ، الشعوب الغائصة في العمجية ، ان تنال في عصر شرلمان التقدم الذي احرزته فيما بعد؟ كلاً ، لان تلك الشعوب كانت في عهد الطفولة ، ولا يطلب من الاطفال ما يطلب من الراشدين ، ان يكونوا مثلاً اساتذة في الرياضيات او قواد جيوش . فلا يطلب من الطفل الا ما يستطيع ان يعطيه . كذلك الكنيسة رقت شعوب القرون المتوسطة بقدر ما يمكن ان ترتقي . واحرزت منها تقدماً باهراً .

ان الدين في القرون المتوسطة قد هذب العقول والاخلاق والشرائع . فقد اظهر مفكرين منقطعي النظر ، فلاسفة ولاهوتيين تفردوا بعبقريتهم وبعمل عقلي عجيب ولا يزالون الى اليوم المثال الاعلى للتفكير والعمل العقلي . - وقد اخلص الدين الاخلاق والطباع من المفاسد واتى الانسانية بالرجال القديسين والفرسان الابطال الغير على كرامة الله ومسيحيه مضحين بنفوسهم لاجلها . - وقد نظم الدين الشرائع ورتبها ولطفها وادخل في اسلوب الدعاوي المدنية بنود الحق القانوني الكنسي الرحيمة اللطيفة .

والدين في القرون المتوسطة حدد سعة السلطة وعين حدودها . وحم ان النبيل الحقيقي هو من كان نبيلاً في نفسه لا في محتده وآبائه (هذه كلمات القديس توما اللاهوتي نفسها) . و امر الملوك ان يحكموا بالعدل او يزلوا عن عروشهم ، ونبه الشعوب الحرة الى حقوق الملوك عليهم ، وذكر الملوك المعتصمين القساة بمعاملة الشعب بالرفق والتؤدة والانصاف ، ووضع اساس الحرية . ودليلي على ذلك ما كتبه في احدى المجلات ⁽¹⁾ زعيم الوضعيين (Positivistes) الفيلسوف بيير لافيت (Pierre Lafitte) ١٨٢٣ - ١٨٩٣ ، قال . « ان القرون المتوسطة تستلم البشرية من يد القرون القديمة أمة رقيقة وتسلمها الى القرون الحديثة متحررة » . فهذه النتيجة العظيمة التي لا جدال فيها تكفي وحدها لتلاشي كل ما يدعيه الكفرة الثوريون من انه لا تقدم في الاجيال المتوسطة .

والدين جدد الفنون في القرون المتوسطة وحياتها . فقد شيد كاتدرائيات تناطح عنان السماء ، وهي ابداع واسمي ما اوجدته الهندسة . وقد اجاد في فني التصوير والنقش حتى كأن الرسوم او التماثيل تنطق حاتة على الفضيلة ، باعثة على الآتسام بسمه المثل العليا المنصوبة امام الناظرين .

والدين معلم ومهذب الشعوب ، اثار في القرون المتوسطة محبة البحث والاختراع فقد كانت دائماً بيده مقاليد حركة التمدن بأسرها . - كانت بيده مقاليد حركة التمدن حينما حول الرهبان غاليا (La Gaule) المغطاة بالغابات الكثيفة الى ارض زراعية وجنات تجري من تحتها الانهار . - وكانت بيده مقاليد حركة التمدن حينما ادخلت الجمعيات الرهبانية في غاليا الزراعية فن تأنيس الحيوانات الوحشية وسهل المعادن وادارة طواحين الماء او الهواء وفن الري وحفر القنوات . - وكانت بيده مقاليد حركة التمدن حينما امر بهدنة الله (La trêve de Dieu) في زمن الاقطاعية الناتجة عن غارات النورمانديين . وحينما اخترع الابر المكنطيسية وبارود المدافع والتصوير على الزجاج ، وحينما اكتشف العالم الجديد وطريق البحر الى الهند

(1) La Revue Occidentale 1^{er} janvier 1893.

ودوران الارض . وحينما كان الباباوات يشجعون اول اعمال المطابع . وحينما كانت الراهبات يهذبن الغتيات ، والرهبان يربون الاحداث .

فالقول ان الدين مضاد للتقدم سخافة ما بعدها سخافة . فالذين يتهمون الكنيسة بانها جعلت القرون المتوسطة مظلمة ، والشعوب البربرية امثال الفرنسيين والجرمان همجية متوحشة ، لا يكونون مؤرخين بل هم افاكون كذابون . اما اذا كانوا يتقولون البهتان على الكنيسة عن سلامة في الطوية ، فهم جهلة اغبياء مساكين لم يصل عليهم ولم تبلغ مداركهم الى ابعد من هذا القول الزور . اما اذا كانوا ذري باطن نعل ونية فاسدة ، فيجب دحض حججهم ، وتزييف براهينهم فاهم الا بمخزقون يصوغون الزور والكذب على الكنيسة .

فالدين المسيحي ، كالحقيقة التي لا تتغير ، ثابت لا يتبدل ، يتي دائماً فتياً ، وعرف ان يراعي حاجات العصور التي ير فيها ويكيفها بكيفيته وان يسبق البشرية في سعيها نحو التقدم والفلاح وان يستحها الى شريف المساعي . فليس كخشبة البرق (التلغراف) القائمة الى جانب الطريق لا حراك بها ولا ترافق المسافر في مسيره . بل هو كالقريب السائر الى الامام الذي يرشد الى الطريق ويسير عليها وهو يقول : « اتبعوني » . فلم يكن الدين قط مضاداً للتقدم .

٢

واليوم ليس الدين مضاداً للتقدم ولا متقهراً . - اكتفي الآن بايراد البراهين العمومية على ذلك . وفي مقالة اخرى سآتي بأدلة فيها اسهاب اوفر . فللدين في الوقت الحاضر خطباء تبشر به ، وللدين رسل تنشره في اقطار المعمور ، وللدين مؤمنون يقومون بحفظ رسومه وشرائعه . فهذه الفئات الثلاث تمثل الدين المسيحي . فهل هؤلاء الرجال هم مضادو التقدم ومتقهرون ؟

١ . فلنأخذ بالكلام اولا عن الخطباء الذين يبشرون بالدين المسيحي . - لا نستطيع ان نسمع كلامهم جميعاً . ولكننا نورد اسماء بعضهم فقط من الفرنسيين وعَاط نوتردام في باريس كالاب فيليكس والاب دي راڤينان (De Ravignan) ومونسابره (Monsabré) وجانفيه (Janvier) وقبلهم في منتصف القرن التاسع عشر

الاب لاكوردير (Lacordaire) . فهل يعد هؤلاء . وامثالهم كثيرون من المضادين للتقدم والمتهقرين ، هؤلاء الذين عرفوا ان يعطوا الحقائق الازلية القديمة قوة وبلاغة وحماسة دونها حماسة الشباب ، واستخدموا لنصرة الدين المسيحي ضد اعدائه الكفرة فصاحة مدهشة مطابقة على منوع عجيب لحاجات عصرنا الحاضر ، وهم مفخرة فرنسا كما هم مفخرة الدين المسيحي .

اما في الشرق فاكتفي بذكر خطيب هو فوق الخطباء . وبلينغ هو فوق البلغاء . خطيب قوي العارضة ، ناصع البيان ، خلاب المنطق ، هو مفخرة الشرق بل مفخرة العالم المسيحي باسره ، اعني به المثلث الرحمة المطران غريغوريوس حجار الذي نقله الله الى دار كرامته منذ ثلاث سنوات ، على ان ذكره سيبتي ما ذكرت الخطابة والفصاحة والبلاغة وما ذكرت التقوى والغيرة وبذل النفس والمحبة للانسانية والنفوس التي قد تهالك في سبيل خلاصها من الموت الزمني والابدي وبذل ذاته فداء عنها .

أبعد هذا تقول لي ان الاكليس لا ينهض باعباء خدمته ولا يحسن القيام بها ؟
العل اعتراضات الكفرة تكسر بأسنا فنحجم عن الرد عليها ؟ العلنا نجهل اكتشافات العلم الحديث او المشكلات التي يختلقها بعض العلماء . وينثرونها على صفحات الجرائد او يلقونها اوراقاً مبعثرة يلتقطها العمال والجهال من القهوات والمجتمعات العمومية ؟ ان الشعب المسيحي بالصواب يتطلب في الكاهن علماً اوفر من ذي قبل ، يتطلب ان يجعل توافق بين العلم وحقائق الايمان ، وقد طالع في كل جهة وناحية اعتراضات الكفرة والملحدين ، فيرغب في ان يعرف الردود على تلك الاعتراضات . ولا شيء . صوالي اكثر من هذا . فالكاهن يقدم له تلك الردود ، ويجب عليه ان يقدمها ، وهذا ما نحن صانعوه . وان اولئك الذين يجهلوننا ولا يريدون ان يسمعون لنا هم الذين يجهلوننا ويشددون علينا النكير ويتهموننا باننا نضاد التقدم واننا متهقرون . فلننظر الى اي الدرجات تهوي البشرية حينئذ لا نسمع لقولنا او تميل عنه . لننظر الى الاحداث العائشين بدون الله ، كيف يتهافتون على ارتكاب الجرائم منذ الصبا . ولننظر الى الشبان والاسر والشعوب العائشين بدون الله ، كيف يتواقعون على اللذات القبيحة ويعودون الى المهمجية . لا اظن اني ازيع عن الصواب اذا قلت ان العالم

يكون اقل شراً لو كان يصغي مجد وادمان الى حقائق الانجيل الالهية التي تعظ بها افواها الكهنوتية .

٢ . ولتتبع الآن انتشار رسل الدين المسيحي في اقطار المعمور في العصر الحاضر . فهل هم مضادو التقدم ومتقهقرون ؟ لننظرهم قائمين باعمال الرسالة في بعض دول اوربا . فهل رسل الدين المسيحي في المانيا هم متقهقرون ومضادو التقدم ؟ كلاً . فقد شهد غليوم الثاني انه لولا الاكليرس لكانت الاشتراكية قد طغت في ايام امبراطوريته اياماً طغياناً ، ويشهد هتار ان العائق الهائل الذي يعرقل مساعي النازية هو الاكليرس . - وكذلك في بلجيكا حينما استلم رجال الدين المسيحي مقاليد الامور ايسرت الدولة والبلاد البلجيكية اياما ايسار ووجرت بخطوات واسعة في سبيل الحضارة والفلاح وفاقته اغنى الدول بتحسّن امورها الاقتصادية . واذا اتينا الى الكلام عن مفاخر فرنسا رايانا منارات ساطعة الانوار امثال الاحبار السعيدي الذكر السيد بي (Mgr Pie) والسيد دوپانلو (Dupanloup) والسيد فريپل (Freppel) والكردينال لايجيري (Lavigèrie) الذي اتى من الاعمال الاجتماعية المفيدة ما يعجز عن وصفه اللسان ، اكتفي بذكر تجويزه العبيد من رقبة الاستعباد . كذلك في الولايات المتحدة في اميركا ، فالدين المسيحي له المقام الرفيع والتأثير البالغ في الحكومة والمجتمع والرأي الصائب السديد .

وكذلك انجب الشرق المسيحي رجالاً بلغوا من الجاه والسطوة والعلم في اواخر القرن التاسع عشر واول القرن العشرين مبلغاً عظيماً كالبطريك غريغوريوس يوسف والبطريك اغناطيوس رحمانى والبطريك الياس الحويك الذين جاهدوا جهاد الابطال لاجل خير بلادهم وطوائفهم بما كان لهم من الكلمة النافذة لدى الحكام وذوي السلطان وبما شادوه من المدارس والكنائس وبما اتوه من الاعمال الحظيرة بما لا تلحق آثاره ولا ترام غايته .

ولقد قام على السدة البطرسيية سحابة القرن التاسع عشر وفي هذا النصف الاول من القرن العشرين احبار اعظم لهم المآثر المشهورة والمناقب الماثورة التي لا تجارى ولا تبارى كالباباوات بيوس التاسع ولاون الثالث عشر وبيوس العاشر وبناديكس

الخامس عشر الذين كانوا رسل السلام في الحروب ، ورجال الدين والعلم بمناشيرهم الخالدات ، ورجال فضل وورع بما امتازوا به من التقوى والفضيلة ، ورجال كد وعمل بما اتوه من الاعمال الحميدة المحيدة .

٣ . واذا تدبرنا احوال المؤمنين في الدين المسيحي ، هل نستطيع ان نقول بغير اجحاف مجتهم انهم متقهرون ومضادو التقدم ؟ فاذا كان بعض ذوي المآرب السافلة ممن مرضت اهواؤهم وفسدت ضمائرهم يقرفوننا باننا نوهل ونضعف قلوب الاحداث ونخنشها ونترفها ، بغية ان يذعوا الاحداث من بين ايادينا ، فذاك الا من غلاظة اوئلك الوشاة وخبث دخلتهم . فلكي نزيغ براهينهم ونزد حججهم عليهم يكفي ان نلقي نظرة اجمالية الى عصرنا الحاضر الى القرنين التاسع عشر والعشرين نرى ان الدين المسيحي غير متقهقر ولا مضاد التقدم . يكفي ان نذكر قواد الجيوش المسيحيين امثال دي سونيس (De Sonis) وفوش (Foch) ودي كاستلنو (De Castelneau) ومانجان (Mangin) ، ورجال العلم امثال باستور (Pasteur) وماركوني (Marconi) ، ورجال القلم امثال جوزف دي مستر (Joseph de Maistre) واوزنام ومونتالمبير (Montalembert) ولويس فييو (Louis Veillot) وبرونتيير (Brunetière) وفرنسوا كوبه (François Coppée) ، ورجال سياسة امثال غارسيا مورينو (Garcia Moreno) . فهل هؤلاء كلهم متقهرون ومضادو التقدم لانهم مسيحيون صادقون في ايمانهم متسمون بسمة المسيح متخلقون باخلاقه محافظون على شرائعه الانجيلية ، اعفاء تدود المروؤة عنهم طير الزيب في وسط عصر مملوء خبثاً ودعارة ؟

فاقول اذن غير خائف لومة لائم لان هذا هو الحق : ان الخطباء الذين يبشرون بالدين المسيحي والرسل الذين ينشرون هذا الدين في اقطار المعمور والمؤمنين التابعين لهذا الدين الالهي ليسوا لامضادي التقدم ولا متقهقرين بل هم متقدمون وسابقون لعصرهم لانهم يجدون في الدين الوسائل التي يتذرعون بها لتحقيق امانى عصرهم الصالحة الحميدة ، ولانهم يرون في دينهم المنارة التي تنبهم الى اخطار بحر هذا العالم ، والقوة على مواصلة العمل في سبيل الله وبلادهم .

تاريخ طائفة الروم الملكيين (تابع)

بقلم الخوري قسطنطين الباشا ب م

الفصل الثلاثون

برائة ابيابا بنادكتوس الرابع عشر

الى الاخوة المحترمين بطريرك الروم الملكيين الانطاكي وجميع الاساقفة الكاثوليك
ذوي الطقس المذكور الخاضعين للبطريرك المتقدم ذكره .

ايها الاخوة المحترمون السلام والبركة الرسولية

لما قلد الرب حقارتنا الاهتمام بجميع الكنائس انفذنا في مبادي حبريتنا في ٣ كانون
الاول سنة ١٧٤٠ رسائل عامة لجميع الاخوة المحترمين البطارقة والمطارنة ورؤساء
الاساقفة المعتمنين بتدبير بيعة الله في العالم كله وكشفنا لهم نيتنا وقصدنا ومن جملة
ذلك ناشدناهم كلهم بان لا يخشوا ان يجهرونا بكل دالة عن جميع القضايا المختصة بالايمان
والتهديب الكاثوليكي وبشره ليستمدوا سلطاننا وسلطان هذا الكرسي المقدس
للتأييد لهم ولكنائسهم ان دعت الحاجة ولزم الامر الى ذلك . ووعدناهم باننا نؤيدهم
في كل ما نستطيع بقوة السلطان الرسولي العام المسلم لنا وبالاعتناء المطلوب من
وظيفتنا الرعاوية كما يجب علينا لافادة الكنائس الخاضعة لنا ثم اجتهدنا بان تمنا بالفعل
بعون القدرة الربانية الى يومنا هذا باهتمام ونشاط كلي ما وعدنا به علانية جميع
الاساقفة مع اننا في ازمة صعبة واضطرابات مقفلة جداً . والذين تحركوا من نصائحنا
ورفعوا الينا امورهم وامور كنائسهم قضينا كل اغراضهم التي رأيناها موافقة لافادة
وصيانة نفوسهم ونفوس الخاضعين لتدبيرهم . ومن ثم رأينا لازماً ان لا نهمل مباشرة
القضايا المهمة جداً التي رفعها الى مسامع سلفائنا السعيدى الذكر بنادكتوس الثالث
عشر واكليمنضوس الثاني عشر والينا ايضاً الاخ الاكرم كيرلس البطريرك الانطاكي
الذي بعد ان كابد اتعاباً مشهورة ومخاطر جسيمة لسبب غيرته الشديدة على حفظ

الايان المهذب رأيه وخلص النفوس قد رفع كمادة سلفائه الى حكم هذا الكرسي الرسولي عدة قضايا مشكلة واقعة له في تدبير كنيسته وغيرها من الكنائس الخاضعة له ومسائل مختلفة في امور ظنها موافقة وضرورية لكي يرفع ويزيل عنها بسطان الخبر الروماني كل شك وارتياب وسبب غلط وان يقوم نظام وسلام التدبير الكنائسي بقوة الرسوم الموافقة في تلك الجهات لاجل خلاص الانفس .

واذ نحن راغبون التنازل لقصده الحميد والصوابي وتتميم طلباته المتواترة تمييزاً مناسباً على قدر الامكان قد راجعنا النظر في مجموع القضايا المهمة من مدة مديدة واذ نحن مريدون الفحص عنها باقنومنا وتحديدنا حداً مدققاً تأملنا بكل واحدة من المشكلات والمسائل المذكورة بجرص وجهد كلي واستشرنا البعض من اخوتنا الاكرمين كرديناية الكنيسة الرومانية المقدسة منتخبين من جمهور الكرديناية المتولين على مجمع انتشار الايمان المقدس والبعض من الاناس العلماء المعبرين من الاكليس العالمي والرهبايي الفائقين في علم الالهيات والقوانين البيعية وامرناهم ان يحضروا امامنا مرة ومرتين وثلاث مرات وان يعلمونا عن رأيهم في القضايا المقدم ذكرها . ثم اعتمدنا ورسمنا وحكمنا بالقضايا الاتي ذكرها التي نشهرها بالسلطان الرسولي برسالتنا هذه لكم لتمسكوا بها وتحفظوها ايها الاخوة المحترمين الاساقفة الارثوذكسين المتولين على كنائس الروم الملكية في كل البطركية الانطاكية . ونومل منكم جميعكم املاً عظيماً بالرب بانكم تبادلوا (تقابلوا) مودتنا الابوية نحوكم واعتنائنا المهم في اموركم بالطاعة الكاملة والخشوع الواجب بغير اهمال .

اما البعض من المشكلات والمسائل المعروضة من الاخ المحترم كيراس البطريرك المدوح آنفاً فانها تختص بحفظ رتب وعوائد الكنيسة الرومية على وجه العموم ثم على وجه الخصوص الطقوس المتعلقة بحفظ الاصوام وتقدمة القداس الالهي . وغيرها تتجه الى سلطان البطريرك المذكور والاساقفة الخاضعين له لزمه ان الاساقفة الموازنة يعترضون لسلطانهم من جهة والمرسلون اللاتينيون من جهة ثانية . واخيراً البعض منها يخص تهذيب الرهبان وخضوعهم الشرعي للروساء ومنها ما يخص ايضاً قانون الراهبات ونوع سيرتهن وتديبرهن وصيانتهن .

فقد حكمنا ورسمنا عموماً أولاً من جهة الطقوس والعوائد التي للكنيسة الرومية
بانه لاجاز ولا يجوز لاحد باية حجة وعلّة كانت وبأي سلطان ومقام كان متشرفاً ولو
كان بطريكاً او اسقفاً بان يحدد ويدخل شيئاً ينقص حفظ الطقوس والعوائد
المذكورة (الحفظ) التام والمدقق . فلاجل ذلك ما صنعه سابقاً افثيميوس رئيس
اساقفة صور وصيدا مع انه رجل كاثوليكي وغيور للغاية على نشر الديانة المسيحية
قد رذله (رفضه) سابقاً هذا الكرسي الرسولي في سنة ١٧١٦ ونحن نضطر ان نرفضه
ثانياً ونلاشيه ونحكم بانه باطل ولغو التعمير الذي ادخله بسلطانه وبغير شور الخبر
الروماني في بعض عوائد الكنيسة الرومية المسلمة من الاباء افراداً واجملاً ونأمر
امراً خاصاً الاخ المحترم البطريرك الانطاكي بان يهتم باجتهاد على حفظها ويعتني في ان
لا يدخل تجديد ما في الرتب المذكورة (لان من ذلك يصدر غالباً سبب شك
وتبليل) . ونسمح فقط في ان البطريرك المذكور والاساقفة الكاثوليكين
يكون لهم في رعاياهم اذناً على اصلاح العوائد الردية واستئصالها اذا رآوها دخيلة في
شعبهم من غشم الجهال او من غش المشاقين او من خبت العالم . وفي ان يقبلوا ويثبتوا
بعض رياضات خصوصية متعلقة بالعبادة ان راوها بفطنتهم مناسبة ومفيدة بالرب لنمو
ديانة المؤمنين .

وبعد ابراز هذا الرسم العام ينبغي لنا ان نرد ونرجع الى حالها القديم تلك العوائد
الخاصة التي سمعنا انها تلفت او تغيرت بنوع ما .

اذاً من حيث ان كيرلس البطريرك الانطاكي المذكور في مجمع بعض اساقفة سنة
١٧٣٦ ملتزمين في جبل لبنان استصوب اتباع مثال افثيميوس رئيس الاساقفة المقدم
ذكره من جهة وبغير معرفته كما يقول باوامر الكرسي الرسولي التي كانت
برزت بطلبته سنة ١٧٣٢ - لاننا لا نصدق هذا عنه لاشتهاره بحسن السيرة وشرف
الوظيفة والخضوع الثابت لهذا الكرسي المقدس ان يهمل بمعرفة تتميم الاوامر المذكورة
كوعده السابق بذلك وعداً عاماً في حال تشبته في المقام البطريركي - قد احتسب
الامر ليس جائزاً له فقط بل مفيداً ايضاً تغيير اسلوب الكنيسة الرومية المقبول في
الاصوام لانه تأمل بفقر كثيرين من الروم الملكيين الخاضعين له القاطنين في قرى العرب

المقفرة العادمة المواكيل الصيامية جداً ونظراً الى صعوبة القطاعات المستطيلة المحفوظة في كنيسة الروم الذين ما عدا الصوم الاربعيني المفروض من الرسل الاطهار على كل البيعة قبل عيد الفصح والقيامه السيدية يصومون قاطعين مثل ذلك اربعين يوماً قبل عيد الميلاد الرباني . ثم يقطعون اربعة عشر يوماً قبل عيد انتقال الطوباوية مريم البتول ثم قبل عيد الرسولين بطرس وبولص يقطعون جملة ايام (متوسطة) من يوم الاثنين التابع للاحد الاول بعد العنصرة الى عيد الرسل المذكور . وبعد ان تامل ايضاً في ان الشعوب التابعين توسيع السيرة المسموح بها لهم من اقسيموس كما مر يصعب عليهم الرجوع الى حفظ الاصوام القديم الشديد قد حلل تحليلاً مؤبداً لجميع سكان القرى الجبلية بالقطاعات الثلاث المقدم ذكرها وحصر كل قطاعة منها في يوم واحد سابق لعيد الميلاد السيدي وعيد انتقال الطوباوية مريم البتول وشهادة القديسين الرسولين بطرس وبولص كما مر .

فنحن من جهة هذا التجديد والتحليل والحصر في امر القطاعات المذكورة نحكم عنه انه راجع الى ائتلاف زائد لتهديب كنيسة الروم القديم . ومع انه ظاهر عدم ثباته الكلي لعدم اثباته من سلطان الكرسي الرسولي فنحن ايضاً نلاشيه بسلاطنتنا تلاشياً مصرحاً ونأمر ان لا قوة له في ما بعد ولا يتم بالفعل اصلاً من الآن فصاعداً . بل لا بد ان الكل يرجع الى حاله الاول . ثم نأمر ان تحفظ بغير تمييز في كل البطيركية الانطاكية قاطبة العادة الحميدة المتسلسلة من المتقدمين وهي القطاعة ايضاً عن اكل السمك يومي الاربعاء والجمعة في مدة السنة كما تحفظ حفظاً مدققاً ايضاً من الشعوب التابعة الرتبة الرومية .

ومع ذلك نحن نجد الرسوم البارزة سابقاً عن القضايا المذكورة سنة ١٧٢٢ من مجمع انشار الايمان الخاص في ٢٢ من شهر كانون الثاني المجهولة كما يزعم من البطيرك المذكور . واذا نشفق بمودة ابوية على عازة (ضرورة) المؤمنين القاطنين في جبل لبنان الذين لعدم وجود المواكيل الصيامية في اغلب اماكن الجبل المذكور يلتزمون كما قيل احياناً على ان يقتاتوا باكل اللحوم والبيض من باب الضرورة فنحكم من سبيل السماح بان تستمر ثابتة عندهم ايضاً السنة العامة في الاصوام والقطاعات

وانه لا يجوز لاحد ان يجلل بها تحليلاً عاماً . لكن ان دعت الضرورة الشاقة حقاً احياناً الى التحليل فمنح اذناً للاخ المحترم البطريرك الانطاكي على انه في ذلك العام الصادرة فيه هذه الضرورة على علمه وليس على سبيل اخر ولا على نوع اخر يستطيع ان يمنح التحليل المذكور لجمعية من الاناس المذكورين . وفي تلك المدة ان لا يهمل الاحتراس اللازم برأيه وفطنته لدفع احتقار الرتب القديمة ونسيانها الممكن صدوره رويداً رويداً .

ومثل ذلك حكمنا في انه لا ينبغي ان يصير شيء من التجديد في ما يخص تقدمه القداس الالهي المسلم من وصية وعادة كنيسة الروم القديسين اي انه يتقدم قداس واحد كل يوم على مذبح واحد . ومن ثم شرعنا في ان لا يجب التنازل لما طلبه منا البطريرك المذكور بان نسمح بتغيير الرتبة المذكورة المشهورة بالقدمية ارضاء لعبادة الكهنة ووفاء لتقدمات المؤمنين المتعددة بان نعطي سلطاناً للكهنة على ان يقدسوا في كنائس جبل لبنان قداسات عدة على مذبح واحد . وبان ناذن لهم في ان يقدموا تقدمه قداس كامل في ايام الصوم الاربعميني كلها التي فيها لا يقدم قداس كامل الا في يومي السبت والاحد في كنائس الروم . وفي غيرها من الايام يتقدم القداس السابق تقديسه فقط . ومن ثم نامر بان تحفظ بذلك حفظاً كلياً احتفالات كنيسة الروم القديمة . وبان ينجذر الكهنة ان يتمموها بالفعل . الا انهم ينبغي ان يرفعوا عن عقول الاميين الغشماء الراي الواهي الزاعمين به ان الكاهن يهدم حفظ الصوم اذا توشح باثواب وملابس كنائسية استعمالها كاهن اخر غيره في ذلك اليوم عينه .

لكننا نسمح بحفظ الرسم البارز في اليوم ٣١ من اذار سنة ١٧٢٩ من اخوتنا الاكرومين كردينالية الكنيسة الرومانية المتوكلين على قضايا انتشار الايمان . وهو انه يجوز اقامة عدة مذابح في الكنيسة في موضع موافق . وان لم يكن يكفي عدد المذابح لكثرة الكهنة الذين يقدسون والمؤمنين المقدمين التقدّمات فيجوز لكهنة كثيرين ان يقدسوا جملة على مذبح واحد صحبة اسقف او كاهن اخر حسب هذه العادة الجارية لكن بشرط ان يتوشحوا جميعهم بالاثواب الكهنوتية كالعادة اليومية وقت القداس وكل منهم يلفظ القداس كله بالتام ويتلو الكلام الجوهري كله

كان كل منهم يقدّس بمفرده (كذا . فتأمل وتدبّر)

ويجوز لكل واحد منهم ان يقدم القربان المذكور على نية الذين يقدمون التقدّمات الارادية (الحسنات الاختيارية) وان وهب غيرهم من المؤمنين تقدّمات لتتقدم في قداس واحد بعينه فالكاهن الذي يقبلها يلزمه ان يعلم المتأخرين في التقدّمات انه اقتبل من غيرهم قبلهم تقدّمات ليقدّس بها على نيتهم . وان لم يوضح المتقدمون هذه التقدّمات العديدة نيتهم بانهم راضون ان يتقدم عنهم قداس واحد فليعلم الكاهن انه لا يفني عن نية كثيرين بتقدمة قداس واحد . ثم نشرح هذا ونقول ان الكهنة لا يفون عن نية المقربين كما مر اذا وضعوا الاجزاء عنهم او ذكروهم فقط وقت الاستعداد المعتاد ان يصير بتقدمة الخبز والقربان قبل الابتداء بالقداس الالهي . لكنهم يلتزمون من كل بد ان يقدموا عنهم القداس كاملاً تماماً ما لم يظهر لهم المؤمنون المتقدمون نيتهم بخلاف ذلك .

ولكيا يحفظ كهنة الروم الملكيين احتفالاً واحداً ورتبة واحدة في مقدمة الاسرار المقدسة ولا يتداخل فيها اختلاف ما رويداً رويداً قد امرنا ان يطبع في مطبعة مجمع انتشار الايمان كتاب القداس على رتبة كنيستهم واحتفالاتها المشبوتة منذ قديم الزمان ونهّم في ان يطبع حالاً بعد نهاية طبع الكتب المقدسة التي تخص الرتبة القطبية .

اما من جهة ما يتعلق بسلطان الاخوة المكرمين المذكورين اي البطريرك الانطاكي والاساقفة الروم الملكيين الذين نزع بالفاية ان يحفظ لهم سلطانهم سالمًا كالواجب فقد صعب علينا وتألّمنا جداً لما سمعنا ان البعض من الاساقفة الموازنة اختلسوا لنواتهم حقوق المذكورين وتصرفوا مرات عديدة بسلطان لا يحق لهم مع رعايا المذكورين على ما قيل اذ انهم حلوا البعض من التأديبات الكنائسية الموثوقين بها من رعاتهم ومنحو تحليل الزواج في درجات وفي ظروف غير مسموح الحل منها في الطقوس الرومية . ثم حلوا الرهبان الروم الملكيين من نذورات الرهبنة وجذبوا بجمل مختلفة الحاضرين للبطريرك الانطاكي الى الانتقال الى الرتبة المارونية . فجميع هذه الامور وامثالها الصادرة من الاساقفة المذكورين هي من ذاتها لغو ومرذولة من نص السنة

الجهوية والقانونية . ولثلا يحدث تجديدها مرة ثانية ويحصل منها التعدي على سلطان الغير وتكون سبب متصل الى المنازعات والمخاضات اذا كانت الامور المعروضة لنا مبنية على الصديق فنحن بالسلطان المطلق الذي منحه السيد المسيح رئيس الرعاة للطوباوي بطرس الرسول ولنا نحن خلفاءه في البيعة الكاثوليكية نأمر بقوة الطاعة المقدسة لكافة الاساقفة الموارنة افراداً واجمالاً ولبطيريك طائفة الموارنة نفسه ولخلفائهم الى الابد بان يمتنعوا فيما سيأتي عن مثل هذه الامور . ثم نهيههم ان لا يجسروا ان يتداخلوا بآية حجة او علة في امور طائفة الروم الملكيين الروحية في الاشياء المختصة بسلطان وتولي بطيريكها واساقفتها وخوارنتها ولا يجسروا رعاياهم على الانتقال من الرتبة الرومية الى المارونية ولا يعودوا يقبلوا المريدين هذا الانتقال من ذات خاطرهم ما لم يحصلوا على اذن خصوصي من الجهد الروماني بذلك .

ومن حيث ان بلغنا ان البطريرك الانطاكي المكرر ذكره والاساقفة الخاضعين له يجشون بان المرسلين اللاتينيون المعتاد ان يرسلهم الكرسي الرسولي الى تلك البلدان اسعافاً لهم ويقوم هناك لهم بكلفة زائدة ونفقات وافرة اذ يتصرفون بالانعامات الممنوحة لهم يجلبون ضرراً واهانة لسلطانهم وينقصون رعاياهم فنحن اذ زيد الاعتناء ايضاً من هذه الجهة في ان يتصرفوا بسلطانهم السالم المطلق المعتوق فنحكم اولاً ونشرع انه يجوز لرهبان القديس ماري فرنسيس الاصغرين الحافظين الارض المقدسة بان يتصرفوا بوظيفة الخوارنة نحو الروم الملكية ويوزعوا لهم الاسرار في الاماكن والازمنة التي ليس فيها خوري او راعي من الرتبة الرومية ليخدمهم . وفي مثل هذا الحادث يجوز للرهبان المذكورين ان يأخذوا الفوائد المحقة لهم شرعاً وحلالاً ولا يخضعوا لسلطان البطريرك الانطاكي . لكنهم يلتزمون ان يدفعوا كل عام له ان طلب دفتر الانفار الذين في تلك المدينة او في ذلك المكان لانه مفهوم انهم على كل حال تحت حكم البطريرك المذكور في بقية الامور . وليتهم البطريرك تسمية لوظيفته في ان يقيم حيث تدعو الحاجة خورياً كاثوليكياً ليستطيع الروم الملكيون المذكورون ان يتناولوا منه الاسرار بالرتبة الرومية .

اما سر التثبيت فيستطيع الاب المحافظ الارض المقدسة ان يمنحه منحاً شرطياً للروم

المثبتين من كاهن والطالبيين التثبيت منه من تلقا خاطرهم في مدينة اورشليم وفي تلك الامكنة حيث لا يكون اسقف رومي كاثوليكي في وظيفته وداخل ابرشيته . واما حيث يجلس اسقف كاثوليكي فلا يمنح الاب المذكور سر التثبيت الا عن اذن الاسقف المذكور وليستع عن توزيعه ان كان لا يرضى الاسقف بذلك .

ثم ننهي نهياً صريحاً جميع الملكية الكاثوليكية المحافظين الرتبة الرومية افراداً واجملاً عن الانتقال الى الرتبة اللاتينية من الآن فصاعداً . ونامر امراً قاطعاً لجميع المرسلين تحت عقوبات سيأتي ذكرها وغيرها تفرض على خاطرنا بانهم لا يعودوا ويحشوا احداً على الانتقال المذكور من الرتبة الرومية الى اللاتينية ولا يسمحوا بذلك لمن يرغبه بغير شور الكرسي الرسولي .

اما من جهة المدعين لاتينيين اي الذي اتلدوا من والدين روم ولعدم وجود كهنة روم اعتمدوا من كهنة لاتينيين بالرتبة اللاتينية الى يومنا هذا وحفظوا هذه الرتبة الى الان - وقيل ان عددهم وافر في دمشق الشام - ولم يقع الحكم الى الان عنهم في ما هي الرتبة التي يلزمهم اتباعها فنحكم ونشرع ان يحضروا امام الشخص الذي سيأتي تعيينه منا وليقرروا مرة اية رتبة من الربتين يريدون التمسك بها ويلتزموا على الثبات دائماً في الرتبة المنتخبة منهم من الان فصاعداً ولا يبقى لهم سلطان في تغييرها اصلاً .

اما الاولاد الذين سيولدون من الوالدين المشار اليهم بعد اقرارهما كما مر والذين ولدوا منها ان لم يبلغوا سن الادراك الى الآن فليتبخوا حال الوالدين اذا كانا القرينان انتخبا رتبة واحدة . والا فليتبخوا رتبة والدهم .

لكن اذا جرى فيما بعد ان اناساً من الروم يقبأون من باب الضرورة العماد او غيره من الاسرار من كاهن لاتيني لعدم وجود خوري كاثوليكي ذي الرتبة الرومية فلا يصدق مع ذلك القول عنهم انهم دخلوا في الرتبة اللاتينية فيلتزمون برفع كل شك وارتباب ان يحفظوا رتبة الروم التي اتلدوا فيها وليتمسكوا بها في كافة الامور الممكنة وخاصة في حفظ الاصوام ما دامت الضرورة المذكورة . وعند حضور الاسقف او الخوري الرومي فليرجعوا حالاً ويداوموا في سائر الامور

بالتام في رتبتهم الرومية .

ولاجل قطع جميع المنازعات المعتادة ان تصدر في مثل هذه المباحث حتى ما بين المرسلين لسبب آرائهم وتعاليمهم المختلفة ولاستئصال واطفاء كل خصومة تصدر بين المؤمنين من ذلك نأمر امراً قاطعاً للمرسلين من اية رهينة وقانون كانوا حتى من رفقة يسوع في ان يهتموا ويحفظوا في هذه الامور جميعها وخذانية الروح والتعليم . وهم يحصلون بالسهولة على ذلك اذا اطاعوا بامانة لاوامرنا هذه وغيرها البارزة سابقاً من الكرسي الرسولي في حفظ طقوس الروم في النواحي الشرقية . وليعتنوا ايضاً في ان تستمر سالمة في قوتها جميع رسوم كنيسة الروم الحميدة الصادرة من تقليد الآباء الاقدمين والمشيئة بالتثبيت الرسولي وان يتمسك مؤمنو الطائفة المذكورة بحفظها وتسميها بالكمال . ولا يجز المرسلون ان يقنعوهم او يلقنوهم بشيء . يمكنه ان يجلب احتقارها وتنقيصها (الاستهتار بها) ولا يجدوا فيها امراً ما بسلطانهم ولا ينحوا تحليلاً ما عنها ولا يقبلوه . والا فسوف يعطون حساباً شديداً لله ولنا ولرؤسائهم الذين نثقل ذمتهم بنوع خاص ليسعوا يحفظ امرنا هذا . ثم انهم سيسقطون حالياً بقوة براءتنا هذه بعدم الصوت والقرعة الفاعلة والمفعولة ويغدوا غير قابلين لاية درجة ووظيفة كانت في رهبنتهم وقانونهم وجمعيتهم . - اخيراً في ما يخص تهذيب الرهبان القانوني فنحكم في ان رهبان المجمعين اي دير الخلص ودير مار يوحنا يحفظون قانون القديس باسيليوس الحقيقي الذي سوف يتسلموه من اخوتنا الاكرمين كدينالية الكنيسة الرومانية المقدسة المتولين على قضايا انتشار الايمان . وليمتنعوا عن اكل اللحوم حسب معنى القانون المذكور . ونأمر ان رهبان المجمعين المذكورين وغيرهم من الرهبان من اي دير كانوا بان يخضعوا بغير واسطة لاساقتهم الكاثوليكين اصحاب ابرشياتهم وبواسطة البطريرك الكاثوليكي . اما في الابريشيات التي ليس فيها اسقف كاثوليكي فليخضعوا بغير واسطة للبطريرك الكاثوليكي .

ولايستطيعوا ان يطبعوا كتباً او اوراقاً من اي صنف كانت بغير اذن واثبات سابق من اسقف الرعية والبطريرك المذكورين . ولا يشهروا بالطبع كتباً ولا اوراقاً تتضمن اموراً مقدسة بغير شور الكرسي الرسولي . واذا حدث طبع كتب مقدسة

من جديد مثبتة سابقاً من هذا الكرسي المقدس يلزم البطريك والاساقفة الكاثوليكين النظر فيها لئلا تفرق بشيء من الكتب المذكورة المثبتة المشتهرة بالطبع .

أما من جهة الدير المشيد في كسروان للراهبات من الروم الملكية لبنات طائفتهم ورتبتهم فقبل كل شيء نحكم بأنه لطائفة الروم الملكية بحق التملك والاختصاص بنوع انه لا يمكن فيما سيأتي قبول بنات من اية رتبة وطائفة كانت لاي سبب كان في الدير المذكور ولا لاحد كائن من كان حتى لا البطريك والاساقفة له اذن ان يجلل بذلك . ثم نقبل الدير المذكور وراهباته تحت حماية الكرسي المقدس وجمع انتشار الايمان . ومن جهة تدبير الدير والراهبات الروحي والزمني فنحكم بأنه يختص برهبان مجمع مار يوحنا الشوير بخضوع غير متوسط لاسقف الابرشية ومتوسط لبطريك الروم الملكيين الانطاكي الذي له ان يتملك السلطان الغير المتوسط على الدير المذكور وراهباته متى لم يوجد في ما سيأتي من الزمان اسقف ارثوذكسي لتلك الابرشية . واذا لم يكونا اثناهما كاثوليكين (لا سمح الله بذلك) ففي مدة ذاك الزمان ابينا يجلس رئيس كاثوليكي فليكن خاضعاً للدير المذكور بغير واسطة للرئيس العام المتولي على مجمع مار يوحنا السابق بمنزلة نائب معين من الكرسي الرسولي .

وليكن معلم اعتراف راهبات الدير المذكور الاعتيادي راهباً ناظراً من مجمع مار يوحنا السابق ذكره الذي يجب ان يكون موصوفاً بالورع والعلم والفتنة . ويتنخبه رئيسه العام ويقدمه لاسقف الابرشية ليثبته . ومثل ذلك نحكم بشأن معلم الاعتراف غير الاعتيادي الذي يستطيع الرئيس العام ان يعينه لاستماع اعتراف الراهبات المذكورات ثلاث مرار في السنة ومتى دعت الضرورة الى ذلك . ثم نعطي سلطاناً لالاسقف المذكور على ان يعين ان رأى ذلك مناسباً معروفاً غير اعتيادي للراهبات المذكورات اياً كان من الكهنة الرهبان ولو كان من غير رهبنة او من رتبة لاتينية سواء كان كاهناً راهباً او عالمياً .

ثم نحكم ان لا تحفظ الراهبات المذكورات قانوناً آخر سوى قانون القديس

باسيلوس الحقيقي الذي اشرنا اليه اعلاه انه سوف يعطى للرهبان . فان اراد الرهبان والراهبات المذكورون ان يضيفوا الى القانون المقدم ذكره بعض فرائض خصوصية غير مضادة القانون المذكور ولترتب الرومية يلتمزوا ان يعرضوها اولاً الى مجمع انتشار الايمان ليقف عليها ويصلحها ان دعت الحاجة الى اصلاحها . ثم تعرض لنا لنثبتها بالسلطان الرسولي .

فمن نص هذه الاوامر جميعها التي قد رأينا ان ترسم وتشهر وتعلم لكم ايها الاخوة المحترمون بعد اننا سبقنا وفحصناها فحسباً شافياً كما مر القول واستشرنا اخوتنا الاكرومين كردينا لية الكنيسة المقدسة الرومانية واناساً غيرهم فائقين بالتقوى والعلم ستظلموا بغير شك على انا لا نقصد شيئاً آخر بذلك الا ان تثبت في قوتها رتب وعوائد الكنيسة الرومية المحترمة وان يحفظ سالملاً كاملاً خضوع الرعايا لكم وسلطانكم وتوليكم عليهم . وهذان الامران يصدران من حبنا وحكمنا على السواء فان بهما نعتبر اعتباراً واجباً طقوس الكنائس وعوائدها المختلفة ونزغب بالغاية ونقصد امراً واحداً ضرورياً لخلاص النفوس وهو ان جميع المعتقدين بالديانة الكاثوليكية بالعالم كله يرتبطون برباط ايمان واتحاد واحد وان نجعل واسطة لافادة كافة الكنائس سلطان هذا الكرسي المقدس المتسامي بقوة الالزام الالهي على بقية الكراسي . ومن ثم نزيد ان تبقى لاختوتكم سالمة حقوقكم واختصاصاتكم جميعها والتصرف المعتوق بسلطانكم لرعاية الاغنام المسلمة لامانتكم ولارشادها بتأييد النعمة الالهية في سبل وصايا الله تعالى الى غاية الخلاص الابدني . ثم نؤمل بأنكم تقبلوا وتحضنوا هذه الاوامر برضى وبنخضوع وبالاحترام الواجب . ومع ذلك نأمركم بسلطاننا ونوصيكم بان تحفظوها جميعها افراداً واجمالاً وتهتموا في ان تحفظ حفظاً كلياً مدققاً وتتم بالفعل من الذين يخصهم ذلك . ثم نمنح لاختوتكم من صميم القلب البركة الرسولية .

حرر في رومية هذا كنيسة القديسة مريم المعروفة بالكهري في اليوم ٢٤ من شهر كانون الاول سنة ١٧٤٣ في السنة الرابعة من حبريتنا .

القهوة

معارضة عربية لقصيدة فرنسوية

لاب قولاً ابى هنا ب. م

ما يستلطف من انواع الكلام عند العرب ما يسميه اهل البيان « المعارضة » ، وهي ان يعمد الكاتب او الشاعر الى مقالة او قصيدة لغيره فيتحداها بان ينظم على اسلوبها ويعناها ، قصداً الى عرض ما يكتبه او ينظمه اذآء ما يتحداه من الكلام ، وغايته ان ياتي بافضل مما اتى به ذلك الكاتب او الشاعر الذي يعارضه .

هكذا عارض الحريري بديع الزمان الهمذاني في مقاماته . وعارض اليازجي الكبير من تقدمه من كتاب المقامات في كتابه « مجمع البحرين » . كما انه ، اي الشيخ ناصيفاً اليازجي ، عارض شاكر النجلاوي في قصيدته التي امتدح بها شيخه عبد الغني النابلسي ، ومطلعها : « آيات حق بديع الحسن تاليها » . فنظم الشيخ ناصيف معارضة لها قصيدته التاريخية في مدح ابراهيم باشا المصري ، ومطلعها : « الزهر تبسم نوراً عن اقاحيها » .

بعد هذا التمهيد نقول :

قرأنا للشاعر الفرنسي « دليل » قطعة شعرية في وصف القهوة ، فاقترحنا على تلامذتنا طلاب البيان ان يعربوها نثراً . ومن باب المفاكحة عارضنا هذه القصيدة الفرنسية بنظم قصيدة في الموضوع نفسه ، نثبها هنا مع القطعة الفرنسية وتعريبها بقلمنا ، راجين من حضرات القراء الكرام ان لا يحسبوا ذلك منا تطاولاً على الشاعر الفرنسي بل هي مداعبة بيانية قصدنا منها مفاكحة القراء .

وهاك اولاً نص قصيدة « دليل » :

Le Café

Il est une liqueur au poète plus chère,
 Qui manquait à Virgile et qu'adorait Voltaire :
 C'est toi, divin café, dont l'aimable liqueur,
 Sans altérer la tête, épanouit le cœur.
 Aussi, quand mon palais est émoussé par l'âge,
 Avec plaisir encor je goûte ton breuvage.
 Que j'aime à préparer ton nectar précieux !
 Nul n'usurpe chez moi ce soin délicieux ;
 Sur le réchaud brûlant, moi seul, tournant ta graine,
 A l'or de ta couleur fais succéder l'ébène ;
 Moi seul, contre la noix, qu'arment ses dents de fer,
 Je fais, en le broyant, crier ton fruit amer ;
 Charmé de ton parfum, c'est moi seul qui dans l'onde
 Infuse à mon foyer ta poussière féconde ;
 Qui, tour à tour calmant, excitant tes bouillons.
 Suis d'un œil attentif tes légers tourbillons,
 Enfin de ta liqueur lentement reposée,
 Dans le vase fumant la lie est déposée ;
 Ma coupe, ton nectar, le miel américain
 Que du suc des roseaux exprima l'Africain,
 Tout est prêt : du Japon l'émail reçoit tes ondes,
 Et seul tu réunis les tributs des deux mondes.
 Viens donc, divin nectar, viens donc, inspire-moi :
 Je ne veux qu'un désert, mon Antigone et toi.
 A peine j'ai senti ta vapeur odorante,
 Soudain de ton climat la chaleur pénétrante
 Réveille tous mes sens ; sans trouble, sans chaos,
 Mes pensers plus nombreux accourent à grands flots.
 Mon idée était triste, aride, dépouillée ;
 Elle rit, elle sort richement habillée,
 Et je crois, du génie éprouvant le réveil,
 Boire dans chaque goutte un rayon de soleil.

وهذا تعريب النص الفرنسي :

القهوة

هي شراب اشوق من يتشوقه الشاعر . لم يتذوق لذتها فرجيل ، اما فولتير فقد كان مستهماً بها و جداً .

انك انت ايتها القهوة الشراب السماوي المحبوب الذي يبهج القلب ولا يكدر صفاء الرأس .

اني ولو اوهى حنكي تقادم الايام ، لا زال استطيب شرابك اللذيذ .
ما اشد رغبتى في تهيئة كوثرك النفيس حتى لا يستطيع احد في بيتي ان يستلب مني العناية اللذيذة بك .

فانا وحدي اقلب على جمر المستوقد حبات بربك فأحيل لونها الذهبي الى سواد الأبنوس .

وانا وحدي اجعل ذلك اللبن المر يصرف انيناً حين تسحقه الطاحنة بأسنانها الحديدية .
واذا أغتبط بنسيم عرفك انقع بيدي على مستوقدي سحيقك النامي ربواً ، وانا اسكن فورانه حيناً واهيجه حيناً ، متبهماً بعين يقظى غليانك الخفيف .

وحين يسكن شرابك قليلاً من ذلك الغليان ، يركد في قعر ابريقه الباخر ما يازجه من الثقاله . حينئذ فنجانى وكوثرى والعسل الاميركي الذي استخرجه اهل افريقيا من عصارة القصب (يوريد السكر) ، كل ذلك يكون مقايضة للفناجين التي اتقنتها اليابان صنماً ليصب فيها شرابك الغالي ، وانت وحدك تستدرين الجزى من العالمين .

فهللم اذن ايها الكوثر الالهى ، هلم أوح الي . لا اريد الا العزلة في قعر لا يصحبنى فيها الا أنيتنوني وانت .

لا اكاد استشمي بخارك العطر حتى تفجأني حرارة توقظ كل حواسي من سباتها دون ان تحدث في اضطراباً ولا اختلاط دماغ ، فتزداد افكارى وتتجارى الي كتدفع الامواج .

قبل ان اترشفك ارى فكرك قائماً جامداً وعرياناً مجرداً ، حتى اذا تناولتك عاد

ذلك الفكر بامماً وقد برز في ابهى حلة من غناه .
وأظني ، وقد تبيّنت استيقاظ القرية ، أشرب في كل قطرة منك شعاعاً من نور
الشمس .

وهذه قصيدة المعارضة :

حياةٌ له جنبها الطاهرُ
وما للّمي حسنه الباهرُ
واوعى نفائسه التاجرُ
وكم سعدُ مبتاعه وافرُ
وهو على ناره صابرُ
ضباباً هو العنبر الناسرُ
الى يمنِ نبتة الزاهرُ
تشوقٌ للوطنِ المهاجرُ
اذا دقّه الساحق الماهرُ
يروقك دولابها الدائرُ
صريفٌ مجذته كاسرُ
يجمعُ مطحونه الداخرُ
يهم بها المجلس السامرُ
وذو الضعف والبطل القادرُ
وعفُ السريرة والفاجرُ
بفنجانها يكرم الزائرُ
وقد ودّ لذتها الناثرُ
يجبِ قضى انه الشاكرُ
اينسى الجميلَ فتى ذاكرُ ؟
اذا خانه الصاحب الغادرُ
به الهمُّ والأربُ الخاسرُ

تعشقُ نكهتها الشاعرُ
ترى بُنّها في اخضرار اللّمي
كأن الزبرجدُ فصلُ حباً
فكلُّ يفاخر في مشتراه
ويضلي هناك احراً العذابِ
وينشر في جوِّ محرقه
غناه النجاشيُّ ثم انتمى
فعاد للون الاحاييش حرقاً
واعذبُ ما تسمع الاذنُ لحناً
وتسحقه اليوم طاحنةُ
وانيابها من حديد لها
فتسمن في لقمِ اللبنِ سحقاُ
ومنه لشرابها قهوةُ
وكل غنيّ وكل فقيرُ
وعالم قوم وجاهلهم
شراب الكرامة في الناس طراً
وهام بها الشاعر العبقرى
ولكننا الشاعر اختصها
فان لها كل فضلٍ عليه
وفية عهد لصحبته
فتؤنس وحشته ان خلا

وتبعث فيه نشاط الصبي
وتُنْعَشُ منه فؤاداً أَلْحَ
وان هَوِّمَتْ فيه افكاره
تريش الخيال باسنى جناح
وتستزل الوحي حتى كأنَّ
حَلَّتْهَا لنا عدنٌ في ارضنا
عَدَتْ زمنَ الاولين فيخاويوا
زُهَيْرٌ وانداده الاقدمون
فن اجل هذا ترى شعرهم
وشعر بني عصرنا من نداها
وفيه اللذاذة من طيبتها
هنيئاً لكم ايها الشعرا
تَلَّوْا هواها وهاتوا معاني
فسحرُ البيانِ حلالٌ ومنها

اذا راعه شبيه الظاهر
على عزمه وهره الجائر
فصحو الحجبى رَوْحها العاطر
فيسمو كما حلق الطائر
ندى الوحي من رشقها قاطر
فتلك هي الكوثر الفاخر
وادركها الزمنُ الآخر
قضوا لم يصلهم بها خاطر
بيساً وناضره نادر
كما راقك الزهرُ الناضر
كما طيبَ الحرة العاصر
شذاها والهامها الزاخر
لم يأتها قبلكم ساحر
تَجَلَّى لكم وجهه السافر



تاريخ صنع الورق

عرف الصينيون الورق سنة ١٩٥ للميلاد . وكانوا يصنعونه مثلاً يصنع اليوم من الخرق والقنب وبعض النباتات والقطن . وبقيت صناعته سراً لا يعرفه احد نحو ستة قرون ، وكان الناس يستعملون البردي المصري . وحوالي سنة ٧٥٠ حدثت حرب في سمرقند بين اميرين تركيين فالتجأ احدهما الى العرب والآخر الى الصينيين ، فانهزم الصينيون . وكان بين الامرئى بعض العمال الذين يعرفون صناعة الورق فأسس امير سمرقند مصنعاً سنة ٧٥١ .

وفي سنة ٧٩٣ استقدم هرون الرشيد بعض صنّاع سمرقند الى بغداد فأسسوا مصنعاً للورق وانتقلت الصناعة الى دمشق التي صارت تورد الى العالم العربي ما يحتاج اليه من الورق . ودخلت صناعة الورق مصر . وانتشرت المصانع في شامي افريقيا حتى بلغت الاندلس حوالي سنة ١١٠٠ .

كانت اوربا تستورد الورق من الشرق ومن الاندلس الى سنة ١١٨٩ ، حيث انشئ مصنع فرنسوي استقدم له عمالاً من الاندلس . وبقيت الصناعة تسير ببطء ، فدخلت ايطاليا سنة ١٢٧٦ . وانشئ اول مصنع في المانيا سنة ١٣٩١ ، واول مصنع في فرنسا سنة ١٤٩٤ .

النور واللاثير

بقلم الاب تقولا الصائغ ب. م.

ما النور؟ ما هذا الرسول المتناهي في الدقة الذي يوجد صلة مباشرة بيننا وبين ما حولنا من الكائنات فتمسكن بواسطته العين، وهي اصغر الحواس، ان تستوعب في بوّرتها الضيقة الكون بأسره وكل ما فيه من بديع وجمال؟ ...

ظن العلماء انهم قد توصلوا نهائياً الى اكتشاف سر النور وجوهره وطريقة عمله . ولكن ظنهم هذا قد خالف الواقع مراراً . تقسم الفيزيقيين اليوم نظريتان عموميتان في النور : فمنهم من يقول بالنظرية « الموجية » وهي الاكثر شيوعاً ونعتقد انها الاقرب الى الصواب . فبحسب هذه النظرية يتذبذب النور في الفضاء فيتموج وتدفع الموجة منه الاخرى الى ان تصل الاخيرة الى العين فتبصر، على نحو ما يتموج الهواء على نقر وتر الكمان فتمتلل الموجات الصوت الى الاذن فتسمع . - ومنهم من قال بالنظرية « الاشعاعية » اي ان النور مجموعة اشعاعات او قذائف دقيقة تبعث بها الينا الاجسام النيرة فتضيء كل ما تلمسه . ان لكل من هاتين النظريتين قسطاً وافراً من الصحة . ومن الممكن بل السهل التوفيق بينهما . وها نحن آخذون بتبيان هذا الامكان ، برغم ما يبدو بينهما من التناقض .

الموجات النيرة . - منذ اربعين سنة خلت كانت نظرية الموجات النيرة قد بلغت شرطاً كبيراً من التقدم والشيوخ بين علماء البصريات ، ولا احد منهم او من سواهم تجرأ ان يرتاب مرة بكفافتها لشرح كل الظواهر المتعلقة بعلم البصريات . ومن الاكيد ان كثيراً من الامور البصرية المؤسسة على الاجتبار مرجعها الى هذه النظرية . وفي نهاية القرن الثامن عشر قام العالم الهولندي ويجنس (Huyghens) وشرح نظرية الموجات الضوئية وبيّن طريقة الاستفادة منها لفهم بعض ما يتعلق بعلم البصر . إلا انه ترك اموراً كثيرة بدون شرح ، اذ لم يكن لهذه النظرية الى شرحه سبيل . لذلك قام العالم الانكليزي الشهير نيوتون (Newton) ونبذ هذه النظرية لاعتباره انها ناقصة .

وفي فاتحة القرن التاسع عشر، ظهر مع العالمين توما يونغ (Young) وفرسنل (Fresnel) ان كل العقبات قد تلاشت وان كل ما يختص بالنور وسيره كان داخلاً في نظرية « الموجات النيرة » .

ان الصوت يدور الى ما وراء الحاجز الذي يمنع انتشاره ثم يكمل سيره . اما النور فلا ينتشر الا في خط مستقيم ، لان الموجات النيرة، كما يوضح ذلك فرسنل ، هي متناهية في القصر . فالنور يخطو الفي خطوة او موجة لكي يقطع مسافة مليمتر واحد . فلو كان ممكناً ان يسير في خط مستدير لدار حول الارض سبع مرات في ثانية واحدة عند خط الاستواء . ان كل عائق ، مهما كان صغيراً ، يمكنه ان يوقف سير هذه الموجات المتناهية في القصر . ومع ذلك اذا تعمقنا في البحث ودققنا في تفاصيل الامور ، وجدنا ان النور لا يسير في خط مستقيم بالمعنى الحصري . ان كثيراً من خواص النور ونواميسه ، عندما استدركت بواسطة نظرية الموجات ، بدت لاول وهلة غريبة وبعيدة عن التصديق ، الى ان جاء الاختبار واثبت حقيقتها . ونظرية تركيب النور الابيض من سبعة الوان تعد من أجل اكتشافات العالم نيوتون . فالنور الابيض ليس الا مجموعة اهتزازات او ذبذبات مختلفة . والاشعاعات البسيطة ، اي التي فيها نوع واحد من الذبذبات ، تختلف احداها عن الاخرى بسرعة اهتزازاتها . ثم ان تغيير وجهة سير النور بالانعكاس او بالانكسار يجعلنا نعتقد ان الاهتزازات الضوئية هي عرضية لا عامودية كاهتزازات وتر مشدود اذا نقر . فهي من هذا القبيل تختلف عن موجات الاجسام المائعة^(١) كالهواء . والماء . ومنذ سنة ١٨٢٥ كانت هذه المعلومات قد تأصلت ولم تلبث ان اعتبرت فوق كل جدل .

فعلى هذه المبادئ تأسس وانتشر علم النور بسرعة عظيمة طيلة القرن التاسع عشر وقد عرف منذئذ « بعلم الاشعاعات » .

النور مبدئياً هو ما تحس به عيوننا . ان كل فروع علم الفيزيقا مؤسسة على الحس ، فهو الذي يكشف لنا العالم الحسي . وفي اول الامر كان علم الفيزيقا وعلم الاحساسات التشرحي متفقين ، ان لم نقل ممتزجين . ومع تقادي الزمان بدأ ينفصلان تدريجياً كلما

(١) « المائعة » تعريب لفظة fluide والفيزيقيون يفهمون بها الاجسام السائلة والغازية كالماء والهواء .

خطا علم الفيزيكا خطوة الى الامام . وهذا الانفصال عد ضرورياً عندما اثبت البحث ان العين لا ترىنا الا جزءاً يسيراً جداً من مجموع الاشعاعات التي تظهرها الصحيفة الحساسة الفوتوغرافية . ان اكتشاف الموجات الكهرطيسية سنة ١٨٨٨ واكتشاف اشعة «رونجن» سنة ١٨٩٥ ازاحت الستار عما خفي من الاشعاعات الضوئية التي هي جزء اساسي من الكون ، وكل هذه الاشعاعات ليست الا اهتزازات تنطلق في الفضاء بسرعة واحدة لا تقل عن ثلاث مئة الف كيلومتر في الثانية ، وسرعة الاهتزازات كبيرة جداً لكنها تختلف باختلاف طبيعة الاشعاع الضوئية .

الاثير . - كان يجب ان نضع هنا حداً لنظرية توجع النور ونبت بوجود شيء مهتز ودوري ينتشر في الفضاء . لكن العقل البشري لم يألف الامور مجردة عن حقيقة تسند اليها . ان فعل الاهتزاز يطلب فاعلاً يسند اليه ؛ فعندما تنتشر اهتزازة في الفضاء ، ما هو الشيء الذي يهتز ؟ وما هو الشيء الذي ينشر الاهتزازات بسرعة عجيبة لا تكاد تصدق ؟ - زعم الاقدمون منذ زمن طويل ان فاعل فعل الاهتزاز هو الاثير ، لا المادة ، لان هذه ليست ضرورية لانتشار النور ، بل هي بالعكس تعوقه في سيره ، اذا لم نقل انها تمنعه تماماً . الفضاء بين الشمس والارض فارغ ، ومع ذلك ان الطاقة التي تأتينا من الشمس عظيمة جداً . فقالوا ان هذه الطاقة انما تصل بواسطة الاثير .

فما هو هذا الاثير العجيب ؟ - يتساءل الفيزيقيون عن ذلك ثم يقفون حيارى ، لانهم لا يستطيعون ان يكتفوا بكلمة ليس لها معنى اكيد . فوجدوا مرغين على التفتيش عن معنى هذه الكلمة الحصري او على الاقل عن خاصيات الاثير الطبيعية . اذا اردنا ان نحدد كلمة الاثير يظهر ان كلمة «مائع» هي أنسب ما نجد ، لان من خاصيات المائع الرقة واللطافة . الا ان لفظة مائع لها معنى محدود وثابت عند جميع الفيزيقيين . فهي تعني الهواء او الماء او كل جسم آخر يتغير شكله دون تغير وزنه او حجمه . ان مائعاً كهذا يوسعه ان يجعل الموجات الصوتية تنتشر انتشاراً عجيماً ، ولكنه غير قادر على ارسال موجات تشبه الموجات النيرة . وعلى افتراض ان الاثير جسم مائع او شبيهه بمجسم مادي ، فهل هو جماد كالفلذاذ او المطاط او كالكطران كما ادعى بعضهم ؟ - ذلك مستحيل ، لان الجماد حاجز منيع لمرور النور . فالاثير اذن شيء خيالي ، وكل

الحيل التي استعملت لاجراجه من عالم الخيال الى عالم المادة او الى عالم الحقيقة باء بالفشل ، بل اتت بنتائج لا تتفق مع العقل ولا تستند الى اساس علمي . فقالوا مثلاً انه جسم غير مادي لكنه مصنوع على شبه المادة ، ثم حددوا له خاصيات متعددة . ولكنها تبدو متناقضة لكل من أنعم فيها النظر .

غير اننا زجع فنتسأل : الا يمكن ان نتوصل الى الشعور بوجود الاثير دون ان نحاول معرفة جوهره او كيفية تركيبه؟ لننظر الى الهواء الذي يحيط بنا والذي نستنشقه وهو ضروري للحياة . اننا لا نشعر به حسيّاً عندما يكون ساكناً ، ولكننا نشعر به تماماً عندما يتحرك او نتحرك نحن فيه . افلا يمكن قول الشيء نفسه عن الاثير؟ - ان ارضنا تدور في فلكها بسرعة ثلاثين كيلومتراً في الثانية ، فلو وجد الاثير في الفضاء . لشعرنا بوجوده من تلك الحركة كما نشعر بوجود الهواء . كثيراً ما اجتهد العلماء باختبارات شتى ان يشعروا به ولكن من غير طائل . وقد اعاد الاختبار سنة ١٨٨١ العالم ميشلسون (Michelson) فلم يشعر بريح الاثير ، الذي لا بد ان كان شعر بها لو وجد . وقد كرّر هذا الاختبار مراراً في السهول والوديان وعلى اعالي الجبال وفي المناطيد الجوية فلم يأت الا بالحيرة والفشل . وكان الفيزيقيون يأملون من وراء هذا الاختبار ان يشعروا بدوران الارض بالنسبة الى شيء . او محيط خارج عنها فلم يحصلوا على نتيجة .

وقد اوجد تكرار هذا الاختبار حركة فكرية كبيرة واثنتج نظرية جديدة دعيت « النسبية » وقد اعتبر البعض نظرية النسبية مضرّة ومفرقة للآراء ، مع انها لم تكن اذ ذاك الا تكملة لآراء وافكار قد اوحاها اولاً العقل السليم ولكن بولغ بها الى حد ظهرت معه انها متناقضة والعقل .

ان الحركة يمكن ان تعرف وان تحدد بالنسبة الى جسمين . اما ان تحدد بالنسبة الى الاثير فهذا رأي مردود ، لان الاثير شيء خيالي غير موجود ؛ اذن الى اي شيء يجب ان نسند فعل اهتزاز النور ؟ ذلك ما سنراه في العدد القادم ان شاء الله .

(لها بقية)

المشاخ اليازجيين

الجزء الثاني

في تواريخ اصهار اليازجيين وبناتهم واولادهم واصهار اصهارهم
بقلم الاستاذ عيسى اسكندر الملوفا

توطئة

الصهر (بكسر فسكون) زوج اخت الرجل او زوج ابنته ، وجمعها اصهار -
وصاهره اذا تزوج اخته او ابنته - واصهر الرجل الى القوم وفيهم اذا صار لهم صهراً
- وقال شاعرهم :

بنونا بنو ابناؤنا وبناتنا بنوهن ابناؤ الرجال الابعاد
وفي ذلك اشارة الى ان النسب عندهم من الابناء الذكور لا من البنات الاناث،
اشارة الى عصبية النسب .

كذلك ولد البنت تسمية اللغة « السبط » وولد الابن « الحفيد » . وجمع الاول
« اسباط » وجمع الثاني « حفدة » .

وهذا تفصيل لاصهار اليازجيين في لبنان من اسرة الشيخ عبد الله اليازجي وولده
الشيخ ناصيف . اما الشيخ راجي فلا اصهار له . فاولهم صهر الشيخ عبد الله من بني
الديقي ، وبعده بقية اصهار ناصيف مرتبة بحسب ولادات زوجاتهم .

١ . رافائل منا الديقي

اصل اسرة الديقي من مدينة حلب الشهباء من طائفة الروم الكاثوليك وهي
قديمة لها بقية في حلب الى يومنا وفيها وجهاء وادباء .

وتسميتها بالدقي اما لان قدماءها تعاطوا صناعة دق القماش في النسيج ، واما لان احد اجدادها كان ليلاً مع زوجته خارج بيته في زيارة صديق له فلما عاد الى البيت وجد الباب مغلقاً فقرعته زوجته فلم يُفتح فقال لها زوجها (دقي دقي) فازم الاسرة هذا اللقب الى يومنا والله اعلم .

جاء ثلاثة اخوة من آل الدقي في حلب الى زوق مكايل في كسروان وكانوا يتجرون بالحريز والمنسوجات فاشتهروا فيها بالوجهة والذكا. والثروة ولهم بقية .
ومن امتاز بينهم هنا ابو حنا الدقي، واسمه الياس ، بثروته ووجهته فرزق ثلاثة بنين وهم حنا المتوفى سنة ١٧٨٨م شيخاً معزراً ، والياس وميخائيل . فحنا البكر رزق خمسة ذكور وبنات . فاول الذكور رافائيل الذي تنصر (اعتمد) في ٢٩ حزيران سنة ١٧٧٨ . فاقارن بالسيدة راحيل ابنة الشيخ عبد الله اليازجي وهي شقيقة الشيخين ناصيف وراجي ، فرزق منها خمسة ذكور ستأتي اسماؤهم .

واشتهر من بني الدقي في الزوق يوسف بن حبيب بن الياس شقيق حنا الدقي والد رافائيل الآنف ذكره . فتنصر في ١٧ آب سنة ١٨٢٩ ودرس العلوم والفقه وصار قاضياً بزمن البطريك يوحنا الحاج لما كان قاضياً في عهد كهنوته وصار يوسف عضواً في مجلس قلمية مقام النصارى عن الروم الكاثوليك مع عبد الله مسلم من زحلة بزمن قائم مقام النصارى الامير حيدر اسماعيل المعني ثم في عهد خلفه الامير بشير احمد المعني . وسافر الى مصر وتوفي فيها عزيزاً سنة ١٩٠٣ شيخاً وعرف بادبه ووجهته .

واشتهر في الزوق ايضاً الحوري ميخائيل الدقي ابن حبيب بن الياس شقيق حنا والد رافائيل المذكور فخدم بلدته باجتهاد وغيره وتوفي فيها شيخاً تقياً .

ومن آل الدقي في الزوق وبيروت ومصر انفار قلياون .

واشتهر اخيراً منهم خليل الدقي والد نقولا من تجار مدينة منشستر (بانكلترة) وكانت والدة نقولا منة ابنة يوسف فرعون البيروتي .

راحيل اليازجية زوجة رافائيل

هي ابنة الشيخ عبدالله اليازجي ولدت في كفرشيا (لبنان) نحو سنة ١٧٩٧

وتعلمت القراءة والكتابة وتربت تربية حسنة فنبغت بالذكاء واقتزنت برافائيل حنا الدقي من الزوق سنة ١٨١٦ وكان زوجها بسن ٣٨ سنة فعاش معها عيشة راضية . ورزقا اولاداً هم بشارة وحبيب وقسطنطين وجرجس وراجي فلم يبقَ منهم حياً غير حبيب وراجي فربوا جميعهم على اقوم المبادى . ولما توفي زوجها عادت الى بيت اهلها في كفرشيا وتوفيت هناك، فسكن ولدها حبيب بيروت . واصغرهم راجي ترهب وهو:

الخوري باسيلوس الدقي

هو راجي بن رافائيل حنا الدقي وراجيل اليازجية .

ولد في زوق مكايل من اعمال كسروان (لبنان) وتنصر في ا ت ١ سنة ١٨٣١ وتعلم المبادى . ثم ترهب ابن ١٧ سنة في دير الصايغ للرهبانية الباسيلية الشورية فدخل الدير في ١٣ اذار سنة ١٨٤٨ ودعي شاروبيم ونذر في ١ ك ٢ سنة ١٨٥٠ يوم عيد القديس باسيلوس الكبير احد اقمار الكنيسة الثلاثة وآبائها اللامعين العظام وشفيع الرهبانية الخاص . فيترجح انه اختار لنفسه اسم باسيلوس تيمناً واستشفاعاً بعميد هذا القديس العظيم . لانه كثيرا ما يختار الرؤساء المبتدىء في الرهنة عند دخوله الدير اسماً لا يروقه، فعند نذره او قبوله الدرجات المقدسة يستأذن رؤساءه في استبدال ذلك الاسم باسم آخر يوافق ميله ، وقد اعتاد الرؤساء ان يوافقوا على مثل ذلك . فصار اسمه باسيلوس الدقي .

درس في دير الصايغ العلوم التي كانت تدرّس اذ ذاك للرهبان والكهنة . وذهب الى ديرهم في كفرشيا المعروف بدير القرقفة فاتصل ببعض الآباء العلماء فيه ومنهم الشماس حنا مهنا الساهوني الموسيقي البارع من بلدته الزوق ، ولاسيا بخاليه الشيخين ناصيف وراجي اليازجين . فاتقن العلوم الدينية وآداب اللغة العربية والخط العربي . ثم سيم كاهناً باسمه . وكان يخدم النفوس ويدرس للطلبة العلوم والخط الجميل باجتهاد وغيرة . وقد عرفته في صباي كاهناً ومدرساً للطلبة في كنيسة قرية المشرع بجوار مسقط رأسي كبرعقاب الى غربي بسكنتا في قضاء المتن، وجالسته كثيراً ورأيت معه دفاتر بخطه الجميل فيها منتخبات اشعار ولاسيا لخاليه اليازجين ولاولادهما . وله بعض المنظومات التي لا يحضرني منها شيء . وما زال يخدم الانفس باجتهاد باثناً

روح الفضيلة والعلم الى ان شاخ . وصراف ايامه الاخيرة في دير القرقفة حيث اسلم الروح في ١٦ ك ٢ سنة ١٩٠٤ عن ٧٢ سنة ودفن هناك . ولم تتوفى الى الوقوف على ما دونه في دفاتره . وكان والده رافائيل وجيهاً نافذ الكلمة طيب السيرة والسريرة، وكذلك والدته راحيل ابنة بيت علمي شهير ادبية مثقفة . رحمهم الله وحفظ الاحياء منهم .

٢. الشيخ سليمان الحراد

ان بني الحداد هولاء من بني لطيف واصلهم من حوران من بني الحاج نعمة ولهم فروع كثيرة في شوف لبنان: عين قنيه وعماطور والمختاره وبطمه وبعذران باسما مختلفة . وموقع عين قنيه بين عماطور والمختاره . ولهم انساب في صغد . كان جرجس لطيف جد هذه الاسرة في عين قنيه فولد له نجم الذي اطلق عليه اسم نجم الحداد عوض اسم لطيف، لانه كان يشتغل بتعدين الحديد للامير بشير الشهابي الكبير حاكم لبنان، فنال منزلة لديه ونفذت كلمته عنده فصار من مدبريه . ولما سار الامير بشير الى مصر القاهرة سنة ١٨٢١ ملتجئاً الى محمد علي بك حاكمها الشهير، اخذ معه نجماً وهو في اول صباه، ولما اجتاج الطاعون البلاد وفتك بأسر كثيرة حتى قرضها، مات سبعة من اولاد الحداد اسم احدهم (جرجس) فبقي في خدمة الامير بعد موت والده ورافقه الى مالطه والاستانة لما نفي . ثم عاد بعد وفاة الامير سنة ١٨٥٠ وتوفي في بيروت عن نحو ٨٠ سنة وله ولدان الشيخ سليمان وشقيقه نجم وهما من اصهار اليازجيين . فالشيخ سليمان بن جرجس بن نجم بن جرجس لطيف الملقب بالحداد . ولد في بلدته عين قنيه سنة ١٨٢٩ وترعرع مع ابيه جرجس في دار الامير بشير الكبير الحافلة بالادباء والشعراء فحضر مجالسهم وقرن على الانشاء والنظم ولا سيما بمجالسته لحية العلامة الشيخ ناصيف اليازجي واولاده . فاقترن بالسيدة حنة ابنة الشيخ ناصيف ورزق منها اولاداً سياقي ذكرهم وكانوا من النوابغ .

واشتغل سليمان في متصرفية لبنان بقلم المساحة ثم بالقلم العربي بزمان داود باشا اول متصرفي لبنان وبعهد خلفه فرنكو باشا . ثم سافر الى مصر وتدير الاسكندرية لان

البطريك غريغوريوس يوسف (سيور) استقدمه اليه وانتدبه شيخاً على طائفته فلقب بالشيخ . وكتب مدة في جريدة (الاسكندرية) لمنشئها سليم الحموي الدمشقي . واشتهر بدمائة اخلاقه وآدابه وصحة روايته وقوة حافظته ، حتى كان جلسيه لا يعل حديثه مهما طال . وكان بشوشاً واسع الصدر كبير العقل ، اصيب بفقد اولاده النوابغ في مقتبل العمر ، فضلاً عما اصاب بيت حميه اليازجي من النكبات . فاقبل ذلك بصبر ونال منزلة بين علماء الاسكندرية ووجهائها ، حتى اشتهر بحسن الخالقة وصدق المودة والوفاء . وما زال مرفوع المقام في شيخوخته الى ان توفي في مدينة الاسكندرية في ١٧ ت ١ سنة ١٩١٥ عن ٨٦ سنة ، تاركاً ارملة حنة وكريمته فريدة زوجة نسيينا متري الخوري المألوف^(١) من بيروت ، تزيل البرازيل ، فاقم له ماتم حافل . وكان سليمان هذا شاعراً ناثراً ترك آثاراً في الصحف ، مجلات وجرائد ، واشتهر بشعره الرقيق حتى جمع ديوانه (قلادة العصر) المطبوع بمطبعة الاهرام في الاسكندرية سنة ١٨٩١ في ١١٢ صفحة بقطع الربع وفيه من رقيق شعره ما يستدل به على منزلته . ولقد وقفت له على قصيدة لم تطبع في ديوانه وهي تحميس قصيدة حميه الشيخ ناصيف

(١) اصل بني المألوف من بني الازد الملقبين في حوران بالناسنة . تركوا داما العليا في حوران قبل الفتح العثماني وتديروا لبنان ، كما فصلت ذلك في تاريخ (دواني القطوف في تاريخ بني المألوف) المطبوع . وبعد نشره وقفت على مخطوطة في خزانه الفاتيكان برومية (ايطالية) نشرت ما جاء فيها في (تاريخ الامير فخر الدين الثاني المعني) الصفحة ٧٢ مصوراً بالشمس . وفي الصفحة ٣٠٠ من دواني القطوف ان فارساً القسيس المألوف سكن المصيطة في بيروت في اواخر القرن الثامن عشر ورزق اولاداً وحفدة منهم جبران ولطف الله . فجبران سم كاهناً فيها باسم جبرائيل ورزق اولاداً منهم متري هذا الذي هاجر الى البرازيل وهو تاجر مشهور . فتزوج فريدة ابنة الشيخ سليمان الحداد وهي ذكية اديبة . وشقيقه لطف الله هاجر اليها . وتزوج ابنة داود نجلا ابنة نجم الحداد شقيق سليمان كما سيأتي في ترجمته وهو من اصهار اليازجيين ايضاً . ونجلا مهذبة فاضلة ولا تزال اسرتها في البرازيل . وقد نبغ من اسرة المألوف ثلاثة اساقفة وهم المطلوبون الذكر اغايوس معلوف مطران بلبك ، واكليمنضوس معلوف مطران بانياس ، ثم سيادة المطران يوسف معلوف مطران بلبك الحالي . كما نبغ من رؤساء الرهبانيات الجليلة الرحومان الخوري مارتينوس المألوف ، رئيس الرهبانية الشويرية الباسيلية العام ، والخوري نخائيل بشاره المألوف رئيس الرهبانية المخلصية العام ، والمرحوم الخوري ثاودسيوس المألوف رئيس الرهبانية الشويرية العام .

اليازجي قدمت في متصرفية لبنان يوم عيد الجلوس السلطاني لعبد العزيز العثماني في ١٣ حزيران سنة ١٢٨٦ هـ (١٩٧٠ م) وطبعت برسالة عنوانها (صدق العبودية وشكر النعمة) سنة ١٨٧٠ في ٣٢ صفحة . قال منها :

قد نال تحت العلي ما ليس ينحصر من نور ملك به الاملاك تفتخر
عبد العزيز الذي ما مثله بشر ما اذا شعوب بني عثمان تنتظر
قد عاد منتصباً في ملكه عمر
كأنه البدر نمشي في انارته هذا المدير ملكاً في اشارته
اقام للحق رأياً تحت رايته وجدد الله في ايام دولته
عهد الصحابة حيث العدل ينتشر

وقال فيها مشيراً الى فرنكو باشا متصرف لبنان :

منه للبنان (نصر) قد اتى كرماً فشاد للحق ما قد كان منهدماً
فصار كالنار لما لا بست علم ان كان قد اظلمت ايماننا قدما
فقل لها استبشري قد اشرق السحر

وقال يصف (الاسلاك البرقية) بقصيدة في ديوانه (قلادة العصر) الصفحة ٥٤ :

دع الوصف في ليلي على مذهب العذري

وصف لي اختراعاً جد في حادث الدهر

هو السلك للاخبار كالبرق سالكاً
لقد كانت الافكار تبدي اختراعها
لوقت اختراع كان يسبق للفكر
كأنك وابن الهند في دورة الشهر
يقول بان الامر ضرب من السحر
اذا حدثوا عنه جهولاً بامرهم
وان حاض طرف الفكر ميدان سلطه
تحيل في اطرافه صهوة المهر
يكشف سر الغرب للشرق مسرعاً
على حين اهل الغرب بالسر لا تدري
اذا باح لابن الشرق ما الغرب صانع
فبالعكس الفيت التبادل في الامر
عجيبة دهر يلبس الدهر ثوبها
اذا سار فيه ما تشير لصاحب
وليس عجيب دام من سالف الدهر
قليل الثواني فيه يغني عن الشهر

وقال في وصف (قلعة بعلبك) الصفحة ٥١ :

قد انحط برج الشمس اذ قام صاحبه عجيبة ارض ادھشتنا عجائبه
عجيبة دھر في ذرى الشرق شأوه رفيع الى مرآه تصبو مغاربه
ألا ان هذا البرج في الدھر شيخه يغالب من احدائه وتغالبه
وما انحط منه قام في الارض شاهداً بهجز دھر قاومته نوابه
على وصفه يهفو لمرآه سامع فكم ملك شدت اليه ركائبه
وما كان منشوراً بدا من نقوشه باحسن مما نظم الخرج ثاقبه
وما كل حسن يشتهي الكل منظراً اليه وهذا صاحب الزهد راغبه
فلو وزنت احداق كل مشاهد الى ثقل ما فيه لكانت تقاربه
لقد شاده في الشرق اعظم مالک فكان عظيماً ما طوى الدھر نائبه
فلو لم يكن في (بعلبكاء) عظمة لما خط فيها آية الدھر صاحبه
ولو لم تكن في الدھر باريص عصرها لما شيدت للناس فيها عجائبه
وقال يقرظ كتاب (مجمع البحرين) لحميه اليازي الاكبر :

هذا الكتاب نظير شمس اشرفت فسناه من عين الحسود حفيظة
قال الوردى لما رآه مقرظاً تقصيرنا عن مثله تقريظة
وقال يؤرخ عين ماء بناها نصر الله فرنكو باشا متصرف لبنان :

يا حسن عين بنصر الله قد عمرت يدوم فيها لسان الحال يذكره
ان يسأل الدھر عن فعل الوزير يرى عيناً لها قلت تاريخاً فتخبره
وارخ وفاة (شفق النور) والدة الخديوي توفيق باشا سنة ١٣٠١ هـ من ابيات :

ثوت في الرسم ام المجد لكن لها في جنة المأوى خدور
وكل الدھر بالتاريخ صبح لرمس عنده (شفق) و (نور)
وارخها بابيات اخرى قال بختامها :

دعاك الحق اما المعالي فا كان الثناء عليك زورا
كبير الخطب بعدك عند مصر لقد امسى بتاريخ صغيرا
وله تواريخ كثيرة وقصائد بدیعة في مدح السلطان العثماني وخديوي مصر وكبار

رجالها والعلماء والاعيان والادباء بين مدح ورتاء، وفي مدح متصرفي لبنان داود باشا وفرنكو باشا ورستم باشا وجمال الدين الافغاني ، وفي تقريرظ كتب ونحو ذلك . وما ليس في ديوانه منها تاريخ لضريح الاب انطون بلّوني سنة ١٩٠٢ :

انطون بلّوني ابو الايتام قد ولّى فسادرك رحمة ونعيما
فكتبت تاريخي باعلى رمسه امسى بمصرعك اليتيم يتيما
ومما نظمه في ديوانه (ص ٥٠) قصيدة في تقريرظ جريدة (مرآة الشرق) حين
تولى تحريرها ابن حميه الشيخ خليل اليازجي مؤرخاً لسنة ١٨٨٢ ، قال في آخرها :
وقد امتطى خمل العاروم ونفعها في ذلك المضمار من غاياته
وزى علوم (الشرق) في تاريخه نوراً اضاء اليوم في (مرآته)
الى غير ذلك من درر المنظوم وغرر القصائد ، احسن الله جزاءه .

الصلاة

موجز من خطاب للذهبي الفم

بقلم الاب ايزيدور ابي حنا ب . م

ان الصلاة للنفس هي بمثابة نور الشمس للجسد . فاذا كان من البلية للاعمى ان لا يبصر الشمس ، فما أفدح بلاء المسيحي اذا لم يدمن الصلاة ويجذب بها نور المسيح الى نفسه . ولكن من الذي لا يدهش ولا يقضي العجب من رافة الله التي يبدئها نحونا ، عندما يجود على الناس بشرف الصلاة والتحدث اليه ؟ أجل اننا كنخاطب الله في وقت الصلاة التي بها ننضم الى الملائكة ، ونسمو عالياً فوق العجاوات .
ان الصلاة هي عمل الملائكة بل هي تفوق قدرهم ، من حيث ان مخاطبة الله تفوق استحقات الملائكة . وهذا التفوق هم انفسهم يظهرونه لنا لفرط ما يشملهم من الرهبة في تقديم صلواتهم ، معطينا مثلاً لئري وتعلم ، عندما ندنو من الله ، ان نفعل

ذلك بفرح وخوف : أما الخوف فلأننا قد نكون غير اهل للصلاة ، وأما الفرح فلأنه يجب ان تملأنا البهجة من عظمة هذا الشرف ، ان يؤهل أناس مائتون لمثل هذه العناية ، فيعتبطون بمحادثه الله دوماً وبها يرتفعون فوق المنية والفساد . إنا ولو كنا بطبعنا مائتين ، فإننا بمحادثه الله ننقل الى حياة خالدة ، اذ من اللازم أن الذي يتحدث الى الله يغدو أشد من الموت وكل فساد . فكما ان الذي يتمتع بشعاع الشمس لا شك هو ناج من الظلام ، كذلك الذي يتنعم بمناجاة الله هو ضرورة فوق الموت . وان عظم هذا الشرف نفسه ليسمو بنا الى الخلود . فان كان محدثو الملك ، المعتبطون بشرفه ، لا تصل اليهم الفاقة ، فبالاحرى كثيراً المصلون والعباد لا يجد الموت اليهم سبيلاً ، لان موت النفس هو الكفر والحياة في الاثم .

ان حياة النفس هي عبادة الله والسير فيها على ما يحق . والحال ان الصلاة هي التي ترد الحياة فاضلة على ما يجدر بعبادة الله وتخزن لنفوسنا جزيل الاستحقاقات . فسواء أغرمت بالبتولية ، او آثرت العفاف في زواج كريم مقدس ، او اردت ان تستأصل الحقد لتعيش في الوداعة ، او تقتل الحسد ، او تمارس فضيلة من الفضائل ، فان كانت الصلاة هي مرشدك ، فانها تهديك الطريق فتجري في ميدان التقوى باكثر سهولة . لانه من المستحيل ان يطلب احد الى الله العفاف او البراة او الوداعة او اللطف ولا يستجاب . قال المخلص : « اسألوا فتعطوا ، اطلبوا فتجدوا ، اقرعوا فيفتح لكم . لان كل من يسأل يعطى ، ومن يطلب يجد ، ومن يقرع يفتح له » (مت ٧ : ٧) . ويقول في محل آخر : « من منكم يسأل ابنه خبزاً فيعطيه حجراً ، او سمكة فيعطيه حية ؟ فاذا كنتم انتم الاشرار تعرفون ان تعطوا الصالحات لابنائكم فكم بالاحرى ابوك السماوي يمنح الروح القدس لمن يسأله ؟ » (لو ١١ : ١٣) .

بمثل هذه الاقوال والمواعيد يحثنا رب الجميع على الصلاة . فعلينا ان نتمثل لقول الله ونعيش دوماً في التسابيح والصلوات ، وان نكون اشد تعلقاً بعبادته مما بنفوسنا . وعلى هذا النمط نحيا هذه الحياة على ما يحق بالرجال العقلاء ، من حيث ان الذي لا يصلي ولا يشناق الى المناجاة الالهية هو ميت لا شعور فيه ولا تفكير . وخير دليل على الحماقة تجاهل شرف الصلاة الباذخ ، وقلة الغرام بها ، وان يفوت الانسان ان

موت النفس في ابتعادها عن تقوى الله . فكما ان جسمنا عند رحيل النفس عنه يسي ميتاً منتناً ، كذلك قلبنا ان لم تحية الصلاة كان ميتاً وشقيماً منتناً .

بدون معونة الله لا يدخل البر نفوسنا . بيد ان معونة الله تشاطرنا اتعابنا ، وتخففها بلطف ، ان هي رأتنا نرغب في الصلاة ، ونلجأ ابدأ اليها ، ونزجو بهذه الوسيلة نيل الصالحات كلها . اذا رايت احداً لا يجب الصلاة وغير كلف بها ، استدلت بالبرهان الواضح ان لا شرف في تلك النفس . واذا شهدت احداً مقتوناً بعبادة الله لا يمل من الصلاة بين خطوبه الجملة الفادحة ، علمت انه بطل جري . في كل فضيلة ، وانه هيكل حي لله . فان كان « لبسة الرجل وضحكة الاسنان ومشية الانسان تحجب ما هو عليه » (سي ١٩ : ٢٧) ، كقول الحكيم ، فبالاحرى كثيراً عبادة الله هي علامة تقوى عظيمة . ان الصلاة لمي حلة روحية الهية تنشر على نفوسنا البهائم والجمال ، وترتب سيرة كل واحد ، ولا تأذن لعاطفة دنية مشوشة ان تتحكم ، وتحقق لنا احترام الله والشرف الذي يعود علينا منه ، وتؤدبنا الى مجانية خدع الشرير كلها وطرد الافكار الرديئة الخسيسة ، وتسمو بكل نفس الى سامي الرغائب . تلك هي الكهبايا الفذة التي تجدر بعباد المسيح ، ان لا يتعبوا ابدأ للعار ، بل ان يصونوا نفوسهم في الحرية وطهارة السيرة .

وانه ليستحيل ، كما أعتقده بيتنا للجميع ، ان يعيش احد بالفضيلة ويتقدم في الحياة من غير صلاة . فكيف يارس احد الفضيلة وهو لا يقصد ، ولا يسجد غالباً لمن يسخو بها ويوزعها ؟ وكيف يرغب احد العفاف والهدارة ، وهو لا يتحدث الى من يتطلب منا هذه الفضائل وجماً غيرها ؟ واريد ان ابين لكم باختصار انا لو كنا فائضين خطأ ففي امكان الصلاة ان تنقذنا وتطهرنا باسرع ما يكون . وبعد فهل اعظم من الصلاة واكثر ممواً ، وهي الدواء الناجع لامراض النفوس ؟ انا لآرى اهل نينوى يُنقذون بالصلاة من آثم جسيمة اجرموا بها الى الله . فنذ ما حازتهم الصلاة ، ردتهم صديقين ، وانتزت المدينة في لحظة من القهر والجور والمعاصي التي كانت غارقة بها . انها اقوى من العادات المستحكمة . فقد سنت الشرائع الالهية وغرست فيها العفاف والرحمة والوداعة والعناية بالفقراء ، هذا الموكب الذي بدونه

لا تحل الصلاة في نفس . انها تملأ النفس التي تحتلها من بكل بر وترشدها الى الفضيلة ، وتقتلع منها كل رذيلة ، حتى لو دخل احد المدينة بعد ان كان يعرفها ، لما عرفها يومئذٍ لسرعة تحولها عن حياة الفجور الى انتحال التقوى والعبادة . فكما ان امرأة فقيرة متشحة باعمال بالية لا تعرف بعدئذٍ اذا شوهدت حالية بالديباج ، كذلك كل من عرف نينوى في سابق عوزها ، وهي فاقدة الكنوز الروحية ، لا يدري اهي تلك المدينة التي استحلها الصلاة فحولت اخلاقها وحياتها الى سيرة التقوى .

درس في رسائل القديس اغناطيوس

(تابع)

بقلم الارشمندريت نقولا برخش ب . م

٣٠ - في رئاسة الكرسي الروماني واوليته

ان درسنا لتعليم القديس اغناطيوس في الكنيسة يكون ناقصاً اذا لم نورد منه كلمة مختصرة عن الكنيسة الرومانية التي خصها بصفات لا نجدتها تحت قلم غيره ، وهذا دليل على اعتباره لها اعتباراً خاصاً . ومن البديهي ان القديس اغناطيوس لم يسرد ، في رسائله التي اتصلت الينا ، كل التعليم المسيحي وعقائد الايمان . بل نستنتج نحن ، من قراءة تلك الرسائل ، ما هو ذلك التعليم وتلك العقائد منذ القرون الاولى . ومن ذلك التعليم تلميحه الواضح الى رئاسة الكرسي الروماني على سائر الكنائس . قلنا « تلميح » فقط ، لاننا لا نود ان نرى في النص الذي سنعرضه هنا على القراء الكرام برهاناً قاطعاً على هذه العقيدة والحقيقة الراهنة ، وذلك لما فيه من بعض الغموض في التعابير . وهذا ما ادى الى اختلاف الرأي في شرحه بين الكتبة واللاهوتيين . ولا غرابة في ذلك ، فان قصد القديس لم يكن ان يبرهن على حقيقة ايمانية ، بل جل رغبته في الكتابة الى الرومانيين ان يطلب اليهم بالحاح مقدس ان

لا يتشفعوا به ، لئلا يجرمه اكليل الاستشهاد بصيرورته حنطة تطحنها انياب الوحوش
 فيصبح خبزاً لذيذ الطعم للمسيح معشوقه . وهاك النص المشار اليه نثبته بكامله :
 « اغناطيوس ، المدعو ايضاً حامل الاله (Θεοφόρος) ^(١) ، الى الكنيسة
 » المقاضة عليها بغزارة مراحم الآب العلي ويسوع المسيح ابنه الوحيد ، الى الكنيسة
 » المستنيرة بمشيئة من اراد كل الاشياء على وفق محبة يسوع المسيح ربنا ، الكنيسة
 » التي ترأس ^(٢) في كل مكان بلاد الرومانيين ، الجديرة بالله وبالاكرام والعبطة وكل
 » ثناء ، الجديرة بكل نجاح وطهر ، المترنسة على المحبة ، الحائرة على شريعة المسيح ،
 » المدعوة باسم الآب ، الى هذه الكنيسة سلام باسم يسوع المسيح ابن الآب ، الى
 » المؤمنين المرتبطين بالجسد والروح بكل شريعة ، المقعنين دوماً من نعمة الله ،
 » البعيدين عن كل صبغة غريبة ^(٣) ، سلام وافر ظاهر بيسوع المسيح ربنا . »
 هذا هو النص الشهير الذي استهل به القديس رسالته الى كنيسة رومة . ان
 كل كلمة فيه جديرة بالاعتبار . ولا ريب ان مجموع الصفات والالاقاب التي خص بها
 هذه الكنيسة دليل واضح على سمرها ، وبرهان مقنع على تفضيلها تفضيلاً مطلقاً على
 سائر الكنائس . ولا نعرف واحداً من الآباء الكتبة ضمن كلامه عن كنيسة رومة
 مثل هذه الصفات والالاقاب . ان مجموع تلك الصفات برهان قوي على رئاستها
 ومكانتها الاولى بين سائر الكنائس ، مهما حاول البعض ان يوقعوا فيه الشك والريب .
 ان ثلاثة او اربعة من الالاقاب المذكورة في هذه المقدمة تلفت النظر وتدعو الى
 التفكير والاعتبار ، بل هي تفسح مجالاً واسعاً لعلماء اللاهوت وشارحي نصوص الآباء

(١) ان اسم اغناطيوس لاتيني الاصل مشتق من كلمة (Ignis) ومعناها النار . وعندنا
 في العربية امثال هذا الاسم : لظى ، شرارة . - اما لقب حامل الاله (ثيوفورس) فقد اختصه
 به المؤمنون في حياته لفرط المحبة التي كانت في قلبه ليسوع المسيح الذي احتضنه طفلاً . ويدعى
 ايضاً حامل المسيح (خريستوفورس) .

(٢) قد عربنا بلفظة « ترأس » الكلمة اليونانية Προκόθηται لان هذه الكلمة تعني
 إشغال المحل او المركز الاول ، ومن ذلك تنتج المكانة الاولى والسلطة والسيادة بين القوم .

(٣) ἀλλοτριού χρώματος اي عن كل تعليم غريب يعني بذلك ان مؤمني هذه الكنيسة
 هم بيديون ومترهون عن كل تعليم فاسد وهرطقة .

والتقاليد ان يثبتوا الحقيقة، لا حسب اوهامهم، بل استناداً الى النص الموضح عن فكر كاتبه. اولها هو اللقب الدال على السلطة: « التي ترأس » (اي التي لها المكان الاول) في مكان بلاد الرومانيين : Προκάθηται ἐν τόπῳ χωρίου Ῥωμαίων . نستغرب جداً كيف تورط الشارحون في تفسير هذه العبارة وذهبوا مذاهب مختلفة . ليس عليك الا ان تاخذ الكلمات في تركيبها الطبيعي في الجملة بحسب اعرابها الاعتيادي اي ان تضيف كلمة مكان (τόπῳ) الى كلمة بلاد (χωρίου) ، لا كما توهم البعض ان تكون كلمة بلاد مفعولاً به لفعل προκαθηται . وعندنا ان لكلمة ترأس معنى عاماً يشمل رئاسة المحبة او الكنيسة ، وان محل هذه الرئاسة هو بلاد الرومانيين . فيكون معنى الجملة ان كنيسة رومة : ἐν τόπῳ χωρίου Ῥωμαίων هي المترسة (προκαθηται) على الكنيسة كلها .

اللقب الثاني هو : المترسة على المحبة : προκαθημένη τῆς ἀγάπης . ان فعل προκαθηται مع مفعول غير منصوب ، اي مع ما يدعى بالفرنسوية génitif ، هو من اللغة الفصحى . وقد استعمله بهذا التركيب ارباب اللغة بمعنى السيادة على المدينة او الرئاسة عليها وعندهم اخذ الآباء نفس الاستعمال ؛ فكتب القديس يوحنا الذهبي الفم مثلاً عن انطاكية انها راس كل المسكونة : προκαθημένη τῆς οἰκουμένης (العظة السابعة في انجيل القديس متى ، العدد ٧) . وكتب القديس غريغوريوس الثيولوجوس عن القسطنطينية انها « المدينة المترسة على الشرق : - προκαθημένη τῆς Ἐώας πόλις . ولا حاجة الى كثرة الامثلة .

بيد ان الصعوبة هنا ليست في معنى الفعل بل في شرح مفعوله « المحبة » . على ان اثبت معنى لهذه الكلمة ليس ما نأخذه من القرائن او ما نصل اليه بطريقة الاستنتاج فحسب، بل ما نجده في كتابات المؤلف نفسه . فالقديس اغناطيوس يستعمل كلمة « المحبة » للدلالة ، بطريق المجاز ، على الكنيسة اي جماعة المؤمنين . فيقول مثلاً في رسالته الى التزاليين : « تسلم عليكم محبة الازميريين والافسسيين ^(٤) » . - والى الرومانيين : « تعانقكم بروحي ومحبة الكنائس التي قبلتني باسم يسوع

المسيح . (٥) - والى الفيلاذلفيين : « تعانقكم بحبة الاخوة الذين في تروادة من حيث اكتب اليكم » . (٦) ونفس هذا النص يستعمله للازميريين . وليس من عجب ان يدعو هذا القديس جماعة المؤمنين « بحبة » وهم المتمنون الى ذلك الذي « هو بحبة » ، الى ذلك الذي انما جاء ليضرم نارها في قلوب تابعيه . فاذا كان القديس قد عنى في غير موضع من رسائله بكلمة « بحبة » الكنائس الخصوصية ، فلم لا تكون في هذا النص بنفس المعنى وليس دليل يعاكس ذلك ؟ واذا عنى بها في النصوص السابقة الكنائس الخصوصية لانها مضافة اليها ، فهي هنا تدل على الكنيسة كلها لانها مطلقة . فتكون اذن الكنيسة الرومانية هي المترسة على « المحبة » بالاطلاق ، اي المترسة على الكنيسة كلها . وان استنتاجنا هذا مبني على نفس النص المثبت بسائر النصوص التي اوردها . - ثم لاحظ ان هذا التعبير لم يستعمله القديس ولا غيره الا لكنيسة رومة . فذلك يعني ان كنيسة رومة تسود على المحبة عينها ، اي على جماعة المحبة ، جماعة المؤمنين . اللقبان الثالث والرابع هما : الحائزة شريعة المسيح (٧) والمدعوة باسم الآب (٨) .

- لماذا يحصر القديس ذلك بكنيسة رومة ؟ اليس من كنيسة اخرى غيرها حائزة شريعة المسيح ومدعوة باسم الآب ؟ - لا ريب ان كل كنيسة تلتزمها هاتان الصفتان ، والا لما امكنها ان تنتمي الى المسيح والى الله الآب . على ان تخصيصه اياهما بكنيسة رومة دليل على انها محتصتان بها كأصل تتفرعان منه الى سائر الكنائس . انما يستطيع البصير المتروي المتمعن في هذه المقدمة البليغة المعنى على قصرها ، ان يجد فيها اموراً لا يمكن تطبيقها بمجموعها الا على الكنيسة الرومانية . انه لم يصف بها اي كنيسة اخرى ، فلها في اعتباره مركز خاص ممتاز . ولم المؤمنون الرومانيون هم وحدهم مرتبطون بالنفس والجسد بوصايا الرب كلها ، وهم وحدهم مملوون ابداً من نعمة الله التي تلازمهم حتى لا تكون بينهم مادة غريبة ؟ ولم هم وحدهم متزهون عن

(٥) Ἀσπάζεται με ὁμοῦς τὸ ἐμὸν πνεῦμα καὶ ἡ ἀγάπη τῶν δεξαμένων με εἰς τὸ ὄνομα Ἰησοῦ Χριστοῦ.

(٦) ... ἡ ἀγάπη τῶν ἀδελφῶν τῶν ἐν Τρωάδι...

(٨) Πατρώνυμος

(٧) Χριστονόμος

الصيغة الاجنبية اي تعاليم الهرطقة ؟ - يستدل بحق من هذه المقدمة ومن مضمون الرسالة كلها ان لكنيسة رومة في فكر القديس اغناطيوس مكانة رفيعة ليست لباقي الكنائس . ويستدل ايضاً ما لهذه الكنيسة من النفوذ على القياصرة والسلطة المدنية ، لانه يلح عليها ان لا تشفع به لئلا يجرم اكليل الشهادة .
نكتفي بهذا القدر ، ولا نرى فائدة من الدخول في جدال طويل ممل .

٤ - في الهرطقة

ان الكلام عن الهرطقة والبدع مرتبط بالكلام عن الكنيسة ، لان الهرطقة هم ابناءؤها الضالون ، وقد كانوا دوماً موضوع اهتمامها لوجهتين : اولاً لردهم الى حظيرتها ، ثم للتحذير منهم حتى لا يؤثروا على سائر الخراف الباقين في الحظيرة . وقد كانت الكنيسة في كل عصر شديدة الحرص على هذين الامرين ، فغيرتها على ارجاع الضالين لا تقل عن محافظتها على الابناء الخاضعين .

يهتم القديس اغناطيوس جداً في امر الهرطقة . وبما انه لاحظ انهم يبشون سم افكارهم القتال بين المؤمنين ، سعى كل السعي لتحذير هؤلاء منهم . فقامه مرّ شديد اللهجة عليهم ، لانهم لم يشاؤوا ان يرعوا عن ضلالهم ، بل كانوا هائمين فيه ومبالغين في السعي ليقعوا فيه المؤمنين . لانستغرب لهجة القديس القاسية ، اذ كان لا بد من ذلك في اوائل الكنيسة . ومنها يظهر اندفاع نفسه الصلبة الماسية ، اذ يصف المبتدعين بتعايير عصبية ، ويشير اليهم بتشابه وتوريات بليغة جميلة . فتارة يدعوهم « وحوشاً ضارية » يجب على المؤمنين ان يهربوا منها ؛ او « كلاباً كلبة تعض بالحفية فيأزم ان تتجنب كبتلاة بمرض عضال عسير الشفاء »^(١) . بل « هم ذئاب خاطفة تصطاد بشراك الاهواء السافلة والشهوات الذميمة الشريرة الساعين الى الله »^(١٠) . - « لا محل لهؤلاء في اتحادكم » ، اي اذا ثبتتم متحدين^(١١) . - وتارة يلقبهم « بعشب الشيطان »^(١٢) . - وتارة يشبههم بتلك الاصول النامية على غيرها المدعوة

(٩) الى الافسيين ٧، ١ والى الازميريين ١٤٤ . (١٠) الى الفيلاذلفيين ٣، ٢ .

(١١) الى الفيلاذلفيين ايضاً . (١٢) الى الافسيين ١٠، ٣ .

طفيلية (Parasite) « فهي تشمر اثماراً قتالةً تميمت من يذوق منها ، وهي ليست غرسات الآب . فلذا يجب الهرب منهم » ^(١٣) . - بل هم « وحوش بهيئات بشرية يجب ان يتحفظ المومنون لا فقط من ان يقبلوهم بل من ان يتلاقوا بهم في الطريق ان امكن » ^(١٤) . - وهم « كأعمدة وكقبور اموات حفرت فيها اسماء البشر » ^(١٥) . - « ان المراهقة هم سامون ، يذهبون هم ومن يصغي اليهم الى النار التي لا تطفأ » . - « ان التعاليم الفاسدة هي رائحة الشيطان الكريهة ، كما ان التعاليم الصادقة هي رائحة عرف المسيح الطيبة . ولاجل هذا قبل السيد المسيح الطيب على رأسه ، لينفث على الكنيسة عدم الفساد . لاحظ ما ارق التعبير وما اللطف الاستعارة والتشبيه ا « فلا تنسموا رائحة تعليم رئيس هذا العالم الكريهة لئلا يستأسركم من الحياة العتيدة لكم » (العتيدة معناها الجاهزة حالياً) ^(١٦) . - ونتيجة ذلك انه يجب تجنبهم والاكتماء بالصلاة « لاجل ارتدادهم ، وهو امر صعب جداً (مجد ذاته) الا انه لا يخرج عن قدرة يسوع المسيح حياتنا الحقيقية » ^(١٧) . - اما طريقة تجنبهم فهي « التواضع والتعلق الشديد بالرب يسوع المسيح والاسقف ومراسيم الرسل » ^(١٨) .

يقصد القديس بهذا الكلام كل المراهقة ، ولكنه يصوب سهامه بنوع خاص الى هرطقي عصره ، اي هرطقي « الشبهيين والمتهودين » ^(١٩) .

بهذا ينتهي كلامنا عن القضية الاولى « في الكنيسة » . وينتج من ذلك كله ان الكنيسة هي تأسيس الهي يميزته جميعها ، لاسيما بالوحدة وبتحاد الاعضاء المتبادل خصوصاً الادنى مع الاعلى ، وبمحسوسيتها ورتب درجاتها . ان مؤسسها هو الله نفسه الواحد الفرد ، واعضاؤها هم اعضاء المسيح عينه الواحد مع الله الآب وهو وحيد . الكنيسة

(١٤) الى الازميريين ١ ، ٤ .

(١٣) الى الترابيين ١ ، ١١ .

(١٦) الى الافسيين ١٧ ، ١ .

(١٥) الى الفيلاذلفيين ٦ ، ١ .

(١٨) الى الترابيين ٧ ، ١ .

(١٧) الى الازميريين ٤ ، ١ ايضاً .

(١٩) الشبهيون والمتهودون تعريب لفظي Docètes et Judaïsants فالاولون ينكرون حقيقة التجسد وما ينتج عنه . والآخرون كانوا يسعون في اجتذاب المؤمنين واقتناعهم بالمحافظة على الديانة والمراسيم اليهودية ، اي ان يصيروهم يهوداً .

هي جسد المسيح، وضعها ابن الله كما نصب راية صليبيه، ليضم الى هذا الجسد الواحد الشعوب باسرها . على ان هذا الانضمام وهذه الوحدة للذين لا يتان إلا بالحجة، هما علامة حضور المسيح وسكنائه في الكنيسة جسده السري^(٢٠). وتعليمها هو تعليم المسيح، لذلك لا حظاً للهراطقة لا منها ولا فيها لانهم ليسوا غرسات الآب، فليسوا اذن غرساتها بل غرسات ابليس وتعليمهم تعليم رئيس هذا العالم، فهم خارجون عن المسيح لانهم خارجون عنها وتعليمهم ليس تعليم المسيح لانه ليس تعليمها .

ديانات العرب قبل الاسلام

عن محاضرة الاب لايبير، من الآباء البيض . (تابع) (١)

بقلم الاب جبرائيل ابي سعدى

٢ . اليهودية

لا ندري، على ما يقول لزنسكي (Lezzynski) متى ظهر اليهود في جزيرة العرب، فرب زاعم يقول ان بلاد اوفير التي تذكرها التوراة كانت في بلاد العرب، ومن العربية كان يستجلب ذهب اوفير، غير ان الانبياء تكلموا عن العرب، وكانوا يسمونهم باللصوصية والصلكمة، ولعلمهم هم بني المشرق الذين طالما مر اسمهم على السنة الانبياء في تنبئهم، ولعلنا تعرضنا لهذه اللفظة في كلام لاحق ان ساعدتنا الاحوال . مما لا شك فيه ان اليهود عرفوا العرب منذ القدم، وخصوصاً في مقايضاتهم التجارية . وقد اخبرنا سترابون ان عدداً جماً من اليهود كانوا يصحبون الحملة العسكرية التي قام بها اليوس قالوس سنة ٢٤ ق م . فلعن البعض منهم ابوا العودة معه ،

(٢٠) يمثل هذا المعنى قال السعيد الذكر البابا بندكتوس الخامس عشر في صلاته الشهيرة لاجل اتحاد الكنائس : « ليسد روح الاتحاد والمحبة، الذي هو علامة حضورك بين المؤمنين » .
(١) راجع هذه المجلة، عدد كانون الثاني سنة ١٩٤٣، ص ١٧ .

واتخذوا من البلاد لهم موطناً^(٢).

وليس لدينا من البراهين الكافية لتأييد ادعاء الاستاذ كلاسير (Glaser)، بان قامت مملكة يهودية ما بين سنة ٣٠٠ و ٤٠٠ ، في شمال جنوب الجزيرة، كما ليس لدينا ما يؤيد وجود مملكة نظيرها عاشت في تلك الغضون في جنوب الجزيرة. اجل ، لا ننكر ان بعضاً من اليهود فروا لائذين في الجزيرة العربية بعد ان اجتاحت تيطس فلسطين وافتتح القدس عنوة سنة ٧٠ . وقد تساءل البعض ، بدون ان يتوصلاوا الى جواب حاسم ، هل اليهود الذين كانوا يهلون الطائرات الممتدة من المدينة الى سوريا يهودية اصلية ام هم اجانب انتحلوا اليهودية ديناً . ولكننا نؤكد بدون ريب ، ان بعضاً من العرب انتحلوا اليهودية ، وان يهوداً اصلين التجأوا الى الجزيرة العربية بعد جلائهم عن فلسطين . غير اننا عاجزون عن تحديد النسبة بين العنصرين . وتتكاثر لدينا المعلومات الا عن العهد الذي سبق توأ ظهور النبي العربي . يقول الاب لامنس ، وهو في هذا يوافق الاستاذ لزنسكي : « لقد توصلت الطائرة اليهودية في المدينة ان تكون لها في بدء القرن السابع شبه حكومة يهودية تسوسها شرائع التلمود فاحتكر اليهود اخصب مرافق الحياة ، وتملكوا هنالك احسن الاراضي واغنى الحدائق . » فقد حولوا هذي الاراضي الجرداء الى مزارع بديعة تدرّ عليهم الخيرات . فالشعب اليهودي توصل الى ان يعيش كأمة متماسكة ، موحدة الاغراض والاهداف بين هذي القبائل العربية المتعددة المتفرقة المتحاربة . فهم كانوا كالبناء المرصوص تصطدم به الثورات وتعود عنه ، بينما القبائل العربية تتناثر في الصحراء تنائر حبات الرمال تثيرها الرياح ، فتقلب في حل وترحال ، فلا تدوم ابداً على حال ، فقد حققوا الاحلام الصهيونية ثلاثة عشر قرناً قبل ان يطالعهم بلفور بوعدده . فهم يدأبون في

(٢) ونجد برهاناً على انتشار اليهودية بين الاوساط العربية في سفر ايوب . فان الكتاب، على ما حققه المؤرخون، اقرب سفر عبري الى العربية، لما فيه من الالفاظ التي تشبه العربية ومن حيث مسحته الصحراوية . فان اسماء ايوب واصدقائه هي اسماء كانت مألوقة عند اهل الجزيرة العربية في الجاهلية حتى يتيسر لنا ان نجد للفظه ايوب اشتقاقاً عربياً ، فهو من فعل آب يوؤب اي رجع ، وهو رديف لفعل تاب يتوب اي رجع الى الله فمعنى ايوب يكون التائب او الراجع الى الله . . . راجع الدكتور ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية ص ١٩ - ٢٠ .

اتفاق ووثام ، بينا الامم حولهم تمن في خلق الاحزاب وتوفير اسباب الانقسام . فلذا تراهم يسودون ويستولون وغيرهم يغلب على امرهم ويدحرون ا فرب قلة غلبت كثرة . . . والله در شاعرهم عندهما قال :

تعيّرنا أنا قليل عديدا	فقلت لها ان الكرام قليل
وما قلّ من كانت بقاياهم مثلنا	شباب تسمى للعلى وكهول
وما ضرنا انا قليل وجارنا	عزيز وجار الاكثرين ذليل
لنا جبل يحمله من نجيره	منيع يرد الطرف وهو كليل

الى آخر ما في هذه القصيدة الرائعة من الفخر الجميل ، وكل الفاظها تنطق باتحاد اليهود واجتماعهم على حماية المستجير بهم ، وطرد المعتدين . وباتفاقهم هذا واتحادهم فازوا وملكوا ، وهم يلكون ويفوزون . اجل كانوا متفرقين جماعات جماعات ، يقطنون مختلف نواح من هذه الواحة النضرة التي تحيط بالمدينة . بيد انه كان يجمعهم اتحاد جنسي ووثاق روحي ، ووثام في سبيل العيش بين هذه القبائل المتعددة . وإنما لن نجد لليهود جماعات اكثر عدداً واعظم ثروة من التي نراها في هذي البقعة من الجزيرة ، الا اذا استثنينا بعض فرق كانت ساكنة في اليمن ؛ ولقد اجتمع لديهم ثروة طائلة لانهم كانوا ولم يزالوا من امهر التجار ، يتحصنون الفرص المكاسب الباهظة ويتصدون الاوقات للصفقات الراجحة . وان غناهم جعلهم عرضة لحسد حيرانهم العرب وهدفاً لمطامعهم ، لا يتهيئون من الايقاع بهم اذا سنحت لهم الاحوال .

ومما يؤكد لنا بعض اطلاعنا على احوال الجزيرة في تلك الآونة ، انه لو لم يقيم الاسلام ما بين ظهرانيها لاصبحت البلاد ملكاً يتقاسمه اليهود والمسيحيون ، ولكان اهلها اندجوا في هاتين الملتين ، وانحوا من الوجود كأمة منفردة ^(٢) . ففي عهد النبوة والبعثة المحمدية ، كانت كل الواحات المتفرقة في الحجاز ملكاً لليهود ، يستغلونها ويستثمرونها ، ما عدا واحة تبوك . وكان لهم في المدينة نفوذ عظيم مع ان عدد العرب القاطنين فيها كان يفوق عددهم .

وما القول في مكة ؟ - كانت مكة مدينة المصارف ومدينة المضاربات (٤) ، لانها كانت على ملتقى الطرق التجارية ، ومحط القوافل التي كانت تتشعب عنها الى انحاء البلاد المجاورة ، فلذا لم يغفل عنها اليهود . ولكن هل كان لهم في مكة طائفة منظمة ملتفة على كنيسها ويسوسها كاهنها ؟ وهل كان لهم مدارس يثقفون فيها اولادهم على مبادئ الدين والآداب اليهودية ؟ ان الاب لامنس يشك في هذا . اجل كان يهود في مكة ، وربما كانوا عدداً لا بأس به . ودليلنا على هذا المدافن اليهودية التي بقيت من بعدهم تشهد على كثرتهم . بيد ان الاب لامنس لم يجد ادنى دليل يؤيد انهم كانوا يتمتعون بالجنسية العربية ، وانهم كانوا يشتركون في الشورى المكية . غير انه يشير الى قلة الرقيق اليهودي في هذي الحاضرة العربية ، بينما ان الرقيق المسيحي كثير جداً . وفي غضون دروسه على تطور الفكرة الاسلامية توصل الى ان ينبغي وجود طائفة يهودية منظمة في مكة كان في وسع محمد الرجوع اليها لاستفسار ما أبهم من النصوص الكتابية التي كان النبي يقدمها احياناً حججاً لردع خصومه ، فلذا اتت محجورة محرفة . وما استوضح بعض حوادث الكتاب الا بعد هجرته الى المدينة ، فهناك فقط فهم العلاقات التي تربط ابراهيم واسماعيل . وان محمداً كان في بدو حياته النبوية يسعى وراء سند يركز عليه دعوته ويفتخ به عن اصل مجيد ينسب اليه رسالته ، فاذاً به يجد في ابراهيم واسماعيل ضالته المنشودة ، فيدعي ان ابراهيم هو باني الكعبة ، وانه نادى بالحج اليها في ازمئة معينة ، وبهذه الوسيلة حرر دين التوحيد الذي جهر به ودعا الناس اليه من أي تأثر اجنبي يمتد اليه من قبل الاديان الاخرى المنتشرة في جزيرة العرب . فاصح التوحيد دين العرب ، يميزهم عن النصارى واليهود ، وعن الصابئين ، وعن كل دين آخر .

(٣) تغلفت النصرانية كما تغلفت اليهودية في بلاد العرب ، واكبر الظن انه لولا ظهور الاسلام لالتهم الامر بالعرب الى اعتناق احدى هاتين الديانتين (الادب الجاهلي للدكتور طه حسين ، ص ١٥٥) . وليس من الشك عندي في ان الاختلاط بين اليهود وبين الاوس والخزرج قد اعد هاتين القبيلتين لقبول الدين الجديد وتأييد صاحبه وان كثيرين من اليهود تعربوا حقاً ، كما ان كثيرين من العرب تهودوا .

الرجاء من المشتركين الكرام ان يرجعوا في ما يخص الاشتراكات الى وكلائنا
المعينين وهذه اسماؤهم :

مصر القاهرة ، شبرا :	صيدا : الاب وكيل الرهبانية
الاب وكيل الرهبانية	صور : السيد انيس القبطي
شرقي الاردن ، عمان :	بيروت : الاب اثناسيوس نصورة ب م
الاب اثناسيوس نقيري ب م	المدرسة البطريركية
القدس :	زحلة : الاب وكيل الرهبانية
الاكسرخس اثناسيوس مغنغب	عكا وحيفا وتوابعا :
الولايات المتحدة :	الاب وكيل الرهبانية
الارشمندريت بطرس ابو زيد ب م	دمشق : الاب وكيل الرهبانية
298, Oak St. Lawrence Mass .	جديدة مرجعيون :
U. S. A.	الارشمندريت يوحنا داغر ب م
المكسيك : الاب فيليبيون شامي ب م	الاسكندرية : الاب اسطفانوس الياس ب م
Ap. 1900-1900 Mexico D. F.	

AR-RICHALAT

AL-MOUKHALLISSIAT

Paraît tous les deux mois

Publiée sous la direction des PP. Salvatoriens

SOMMAIRE

	Page
<i>Le nouvel An</i>	3
<i>La Renaissance littéraire au Liban</i> P. Gabriel Abou-Saada	7
<i>Le Religion est démodée</i> A. K.	19
<i>Histoire de l'Eglise Melkite (suite)</i> P. Constantin Bacha. B. S.	25
<i>Le Café</i> P. Nicolas Abou-Hana B.S.	36
<i>La Lumière et l'Ether</i> P. Nicolas Sayegh B. S.	41
<i>Les Cheikhs Yazigi (suite)</i> Issa I. Malouf	45
<i>La Prière, d'après S. J. Chrysostome</i> P. Isidore Abou-Hanna	52
<i>Etude sur les épîtres de S. Ignace (suite)</i> L'Arch. Nicolas Berkheche B. S.	55
<i>Les Religions en Arabie avant l'Islam</i> P. Cabriel Abou-Saada	61